وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الاستلـــزام الحواري في كتـــــاب أصـــــول البـــــلاغة

لكمـــال الـــــــدين بن ميثم البحراني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربيّة

تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة: صونيا لهويمل

إشراف الدكتورة: ليلى كادة

السنة الجامعيّة:

1435ه/1436ه

2014م/2015م

مقدمـــــــــــة

ولدت التداولية في نطاق ما يعرف بالفلسفة التحليلية وتحديدا في فلسفة اللغة العادية،التي أولت اهتماما بالغا للغة أثناء الاستعمال،و التي أصبحت موضوعا شاملا لكل المجالات التي تشترك في مبـــدأ واحـــد ألا وهـــو مبـــدأ التواصـــل،الذي يســـتدعي بـــدوره طـــرفي الخطـــاب(المتكلم و المخاطب)،بالإضافة إلى المقصدية،و السياق الذي يجري يه الحدث الكلامي.

انفتحت التداولية على مختلف العلوم بما فيها البلاغة التي تعنى بالمقال و المقام معا وهما قطب الرحى في علم الاستعمال.

تتجسد الركيزة الأولى في أي عملية تواصلية في عنصر الحوار،الذي لقي عناية كبيرة من طرف العلماء و الفلاسفة،الأمر الذي أدى ببول جرايس أن يهتم به من خلال سعيه لتأسيس نظرية مكتملة الأواصر سواء تعلق الأمر بالناحية النظرية أو من الوجهة التطبيقية.

من هذا المنطلق أسس جرايس نظريته المعروفة ب"الاستلزام الحواري" ،القائم على مبادئ و قواعد تنظم سير الحوار،قوام هذه النظرية مبدأ التعاون الذي يضبط عملية التأويل و الخروج عن المعنى الحرفي للعبارة ،في حين يتحقق الاستلزام الحواري عندما يتم خرق قاعدة من القواعد التي تندرج ضمن مبدأ التعاون.

يتم الانتقال في الاستلزام الحواري من الدلالة الظاهرة للعبارة إلى دلالة أخرى ضمنية وهذا بفضل السياق الذي ترد فيه العبارة،ولعل هذا ما أدى إلى تداخل التداولية مع علم البلاغة التي كان لها نصيب كبير في بحثنا.وهذا من خلال مدونة تم انتقائها من التراث العربي النفيس والتي تحمل عنوان "أصول البلاغة" لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني(ت679).

وتكمن أهمية الموضوع في محاولة توظيف الوسائل و الآليات و المفاتيح الإجرائية التي تتوفر عليها اللسانيات التداولية بغية تسليط الضوء على جانب من الموروث العربي مع مقاربة مفاهيمه.إضافة إلى محاولة ربط التواصل بين الموروثين العربي و الغربي. وعليه كان موضوع بحثنا بعنوان: **"الاستلزام الحواري في كتاب أصول البلاغة لكمال الدين بن ميثم البحراني"**

وقد اخترت الاستلزام الحواري دون سواه من محاور التداولية، لأنه يتلاءم مع طبيعة المدونة قيد الدراسة،و محاولة قراءة كتاب أصول البلاغة من وجهة نظر لسانية تداولية حديثة وتحديدا الجانب المتعلق بالاستلزام.

يعالج موضوع البحث جملة من الإشكالات لعل أهمها :

-كيف كانت نظرة البحراني للدلالات المستلزمة من خلال كتابه أصول البلاغة؟

-كيف تتم عملية الانتقال من المعنى الحرفي للعبارة إلى المعنى المستلزم عند البحراني؟

-ما المنهج الذي اتبعه البحراني من خلال دراسته لعلوم اللغة بغية الوصول للمعنى؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات اتخذ البحث الهيكل التنظيمي الآتي:

مقدمة

الفصل الأول:الاستلزام الحواري في الفكر اللساني الحديث.

الفصل الثاني :الدلالات المستلزمة في أصول البلاغة لكمال الدين بن ميثم البحراني.

الخاتمة

قسم الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث:في الأول منها تطرقنا لتعريف الاستلزام الحواري لغة و اصطلاحا ،وخصص الثاني لمبدأ التعاون و القواعد التي تنضوي تحته،في حين كان الثالث مبدأ التعاون في ميزان النقد.

أما الفصل الثاني فضم مبحثين:الأول في علم المعاني و ذلك بعرض الأساليب الخبرية من حيث الإثبات و النفي،و الأساليب الإنشائية الطلبية المتمثلة في الاستفهام،و النّداء .في حين خصص الثاني لعلم البيان بكل فروعه: من مجاز، وتشبيه ،واستعارة ،وكناية.وأنهي البحث بخاتمة شملت أهم الملاحظات التي يمكن استخلاصها من هذا البحث.

اعتمدنا في انجاز بحثنا على المنهج التداولي الذي يتناسب مع طبيعة الدراسة.

وقد استعنـــا في البحث بجملة من المصادر و المراجع تنوعت بتنـــوع فصوله، بين التداوليـــة و البلاغة العربية لعل أهمها : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي للباحث طه عبد الرحمن،و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني وغيرها من الكتب.

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي كثرة المراجـــع التي تجعلنا عـــاجزين عن اختيار الأنسب منها للبحث، مع وجود بعض الصعوبة في التطبيق،إلا أن هذا لن يقف حاجزا أمامنا فقد حاولنا جاهدين أن نسير قدما في سبيل إنجاز هذا العمل.

وفي الأخير أقدم شكري و تقديري للأستاذة المشرفة الدكتورة: ليلى كادة التي مدت لي يد المساعدة من خلال تزويدي بالمراجع والنصائح، فقد ذللت لي الصعوبات التي اعترضتني، والتي كانت لها بصمة واضحة المعالم في هذا البحث من خلال تقويمه و سد نقائصه،فجزاها الله عني خير الجزاء.

وختاما أحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه على نعمته علينا، و عونه لنا في إنجاز هذا البحث ، وأسأل الله التوفيق و السداد في القول والعمل،إنه من وراء القصد.

الطالبة

الفصل الأول:

الاستلزام الحواري في الفكر اللساني الحديث

توطئـــــــــة:

ركزت التداولية في دراستها للغة على الجانب الاستعمالي ،كما اهتمت بكل ما له علاقة بالتواصل و بمقوماته.وانطلاقا من هذه العناية استطاع الفيلسوف بول جرايس أن يبني نظريته التي أطلق عليها "نظرية الاستلزام الحواري" ،وهذه النظرية تستلزم الإحاطة بالظروف و الملابسات التي أنتج فيها الخطاب، وسيتكفل هذا الفصل بالحديث عن مقومات هذه النظرية وأهم مميزاتهاو خصائصها، مع ذكر بعض الأمثلة لتبيان كيفية انتقال المعنى من الدلالة الحرفية إلى الدلالة المستلزمة.

1-المبحث الأول:ماهية الاستلزام الحواري

1-1 - تعـــريفه : من خلال ملاحظة عنوان المبحث ندرك أنه يتركب من شقين مهمين ألا وهما : مصطلح الاستلزام و مصطلح الحوار.الذي سنتطرق لكل واحد منهما على حدا من الناحية اللغوية.

1-2- مصطلــح الاســتلزام : لغـــــة: يعـــود مصـطلح الاسـتلزام في أصلـــه إلى الجـذر اللغـــوي(**ل ،ز،م**) يقال: رجل لزمة: يلزم الشيء فلا يفارقه.و اللزام : الفيصل جدا.وقوله عز وجل: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴿٧٧﴾ (الفرقان /77) أي ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ،فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ؛ أي عذابا لازما لكم .[1]

1-3- مصطلح الحوار: لغة :يرجع هذا المصطلح إلى الجذر اللغوي (ح ،و ،ر):وأحار عليه جوابه :رده وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة، و الاسم من المحاورة الحوير ،تقول : سمعت حويرهم و حوارهما.[2] التحاور:التجاوب،وتقول : كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي مـــا رد جوابا.واستحـــاره أي استنطقـــه.وفي حـــديـــث علـي -كرم الله وجهه- يرجع إليكما ابنا بحور ما بعثتما به أي بجواب ذلك؛ يقال :كلمته فما رد إلي حورا أي جوابا؛وقيل: أراد به الخيبة و الإخفاق. وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام." "والمحاورة و المحورة و المحورة: الجواب.تحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم والمحاورة: مراجعة النطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره. [3]

(1)ينظر:ابن منظور :لسان العرب،دار صادر ،بيروت-لبنان، ط1، 1417هـ /1997م،12/541 -542،مادة(ل، ز، م) .
(2)المصدر نفسه،4/218،مادة(ح،و،ر) .
(3)الفيروز أبادي:القاموس المحيط،ضبط وتوثيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ،دار الفكر ،بيروت– لبنان، (د.ط) ،1422هـ /2010م،ص344.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الدلالة اللغوية لكلمة (حوار) dialogueالتي ذكرت سلفا في المعاجم تعني التجاوب و تراجع الكلام ،وهو الرأي البارز ، فالحوار قد يأتي بأشكال عدة منها ماهو مسموع ومنها ما هو ملفوظ ، ومنها أيضا المكتوب و الإشاري[1]

كما وردت لفظة حوار في القرآن الكريم في ثلاث آيات فقط وهي على التوالي:.[2]

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ (الكهف /34) . فقوله (وكان له ثمر) يراد به المال،وأما قوله(لصاحبه وهو يحاوره) أي يجادله و يخاصمه،كما يفتخر و يترأس في قوله:(أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) بمعنى أكثر خدما و حشما وولدا.وهنا فيه مراجعة للكلام بين المتكلمين.

وقوله أيضا : قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ (الكهف / 37). فسرت على أنها مجرد حكي لكلام صاحبه بالفعل (قال) دون وجود ما يدل على أنه وقع موقع الحوار و الجواب. فهي عبارة عن حوار بين طرفين.

وقوله عز وجل أيضا : قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ (المجادلة /1). فهي عبارة عن حوار بين طرفين.

وعليه يتبين لنا أن مصطلح الحوار لم يخرج عن المدلول اللغوي وهذا ما وضحه سياق الآيات السابقة .

(1)ينظر:إديس أوهنا:أسلوب الحوار في القرآن الكريم الموضوعات والمناهج والخصائص،منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية المغربية،ط1، 1426هـ/2005م،ص23.

(2)ينظر:ابن كثير:مختصر تفسير ابن كثير:اختصار و تحقيق:محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم،بيروت،ط7، 1402هـ/1981م.ص418-419.

1-4- اصطلاحا :

تعود نظرية جرايس إلى ما يسمى (بنظرية الاستلزام المعاصرة)التي يتجاوز ميلادها ثلاثة عقود من الزمن،ويرجع الفضل في اكتشاف هذه النظرية إلى الفيلسوف هـ.ب جرايسgrice وهذا من خلال المحاضرات التي قدمها في جامعة هارفارد سنة 1967.عرض فيها الأسس التي يمكن أن تقوم عليها هذه النظرية.ومع حلول سنة 1975 قدم عملا جمع فيه بعض محاضراته من خلال مقالة عرضها بعنوان (المنطق و الحوار)conversation ،لكن هذا لم يمنعه من توسيع نطاق عمله حيث اشتغل وقدم بحثين الأول في سنة 1978، و الثاني في سنة1981، وهذا نتيجة أعوام من العمل المبكر، كما أسس جرايس لهذه النظرية من مبدأ " أن الناس أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ،وقد يقصدون أكثر مما يقولون ،وقد يقصدون عكس ما يقولون"[1]الأمر الذي جعله يفرق بين ما يقال what is saidوما يقصد what Is meant، فالأول ما أشارت إليه الكلمة لفظيا،أما الثاني فما قصد المتكلم وصوله إلى السامع من خلال التأويل وهذا بواسطة أدوات ووسائل تتيح له ذلك[2].ولتوضيح المقصود من هذه الفكرة نقدم مثالا على ذلك : يكتب الأستاذ (أ) للأستاذ (ب) متسائلا عن استعداد الطالب (ج) لمتابعة دراسته الجامعية في قسم التاريخ فيجيب الأستاذ(ب):أن الطالب (ج) بارع في العلوم.[3] يرى جرايس أن الحمولة الدلالية لجملة الأستاذ (ب):تتكون من معنيين اثنين في الآن ذاته،معنى حرفي وآخر مستلزم، فالمعنى الحرفي هو المعنى الذي نستنتجه من الجملة (أن الطالب (ج) من البارعين في العلوم ،أما المعنى المستلزم مفاده أن (الطالب (ج) ليس له أي استعداد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم التاريخ)

كما أنه يمكننا أن نسمي المعنى الأول (الحرفي) بالمعنى الصريح أو الظاهر،في حين نطلق على المعنى الثاني (المستلزم) بالمعنى الضمني أو الخفي[4]

(1) محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،(د.ط)،2006م،ص33.
(2)ينظر :المرجع نفسه ،ص33،و قويدر شنان : التداولية ضمن الفكر الأنجلو سكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني، مجلة اللغة و الآداب، كلية الآداب و اللغات، الجزائر،العدد17،جانفي 2006م،ص 17 ،وآن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ترجمة :سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة :لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة،بيروت- لبنان ، تموز-يوليو،2003م،ص53.وبنعيسى أزاييط: الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الاضماري-(من التجريد إلى التوليد): مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية ،عالم الكتب الحديث، اربد-الأردن، ط2012م ،276/2.و العياشي أدراوي :الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، دار الأمان ،الرباط ،و(منشورات الاختلاف) ، الجزائر، ط 1، 1432هـ/2011م،ص96-97.
(3) ينظر:أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية "مدخل نظري"،دار الكتاب الجديد المتحدة،أيلول/سبتمبر الفاتح،ليبيا، ط1، 2010م،ص26.

(4) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط:1،تموز/يوليو ،2005م ،ص33.

لقد تعددت المصطلحات التي تم إطلاقها على هاته الفكرة ومن بين هؤلاء نجد الباحث طه عبد الرحمن الذي عبر عن ذات الفكرة باسم (المخالفة) ،وأوردها الأصوليون (الاقتضاء) في حين نجد جرايس عرضها بمفهوم آخر أسماه (الاستلزام الحواري) ،هذه النظرية التي تقوم على معان صريحة و أخرى ضمنية تفهم دلالتها من خلال السياق الذي وردت فيه .

1-المعاني الصريحة :وهي تشمل الجملة بصيغتها وتتضمن مايلي[1]:

أ-المحتوى القضوي :يتمثل في معاني مفردات الجملة مضمومة إلى بعضها البعض حيث تربطها علاقة اسنادية.

ب-القوة الإنجازية الحرفية :وتتمثل في القوة الدلالية التي نشير إليها عن طريق أدوات مثل : الاستفهام ، الأمر ، النهي، التوكيد ، النداء وغيرها .

2-المعاني الضمنية :يدخل فيها السياق وتتضمن مايلي :

أ-معاني عرفية :ويقصد بها الألفاظ التي تستلزم بعض الدلالات والتي ترتبط بها ولا تنفك عنها مهما تغير السياق من مثل (لكن) تستلزم أن ما بعدها مخالف لما ينتظره السامع مثل : أحمد ذكي لكنه كسول.

ب-معاني حوارية :وهي المعاني التي تتولد من خلال المقام .

حيث يقول بول جرايس عن الاستلزام*: " وعمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر أو قل أنه شيء يعنيه المتكلم و يوحي به و يقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[2]. بمعنى أن المتكلم أثناء حديثه يريد قول يقصده و لكنه في نفس الوقت لا يمت بأي صلة

(1) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،ص33.

* .هناك من الدارسين من فضل مصطلح الاستلزام الحواري ومن هؤلاء نجد أحمد المتوكل يقول : نقترح الاستلزام الحواري مقابلا لمفهوم (conversational implicature) ينظر:أحمد المتوكل :دراسات في نحو اللغة الوظيفي،دار الثقافة ، الدار البيضاء،ط1 ،1406 هـ/1986م،ص93(الهامش).سار على هذا المنوال عدد من الباحثين أمثال :مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،ص33.وبنعيسى أزاييط : مداخلات لسانية "مناهج ونماذج"،سلسلة دراسات وأبحاث رقم 26،شركة الطباعة مكناس،المغرب،(د.ط)،ص 57 -58.ورد الاستلزام الحواري عند العرب ولكن بمصطلحاتهم ومن بينها نجد: دلالة المفهوم،المعنى المقامي، معنى المعنى،و الأغراض التي تخرج اليها الأساليب.ليلى كادة :ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني،منشورات المركز الجامعي بالوادي(مجلة علوم اللغة وآدابها)،معهد الآداب واللغات،المركز الجامعي يالوادي،- الجزائر ،العدد،ص112.

(2) صلاح إسماعيل :نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية،القاهرة ،ط1،2005م،ص 78.ينظر:كادة ليلى:الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث طه عبد الرحمن أنموذجا ،(ضمن كتاب الممارسات اللغوية،مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري)، تيزي وزو- الجزائر،2011م،العدد21،ص170.

للقول أو المعنى الحرفي الذي جاءت به الجملة. مما جعل جرايس ينكب على دراسة التفاعل الحواري داخل مبادئ تضمنت الملاءمة بين مجموعة من الاستلزامات اللغوية و غيرها التي تخرج عنها والتي يتدخل فيها طرفا الخطاب و استثمار مجموعة من المفاهيم التي يمكن أن تعد بمثابة الركيزة في أي عملية تخاطبية، كما أضاف جرايس مصطلح الاستلزام لتحديد نتائج عملية التضمين ،إذ انه لم يقف عند هذا الحد بل قام بالتمييز بين ما قيل (المعنى الحرفي) وما يقصد(المعنى المتضمن) [1].

فالاستلزام الحواري يعد بمثابة جسر يربط بين ما هو داخلي في الجملة ، وبين ما هو خارجي،وهذا لن يحصل إلا من خلال مجموعة من الوسائل المساعدة،والتي يمكن أن نطلق عليها بالتأويل و لتوضيح هذه الفكرة نقدم المثال الآتي:افتراض سؤال لضيف:هل تشرب بعض الشاي ؟ فيجيب الضيف:الشاي سوف يبقيني صاحيا ، فإذا أولنا هذا القول سنلاحظ رفضه للعرض الذي قدم له [2].

خصص جرايس مجال عمله للظواهر الاستدلالية التي كانت غائبة عند من سبقوه، حيث قدم عمله من خلال ركيزتين وهما:القدرة على اكتساب حالات ذهنية ، والقدرة على تأويل الأقوال بطريقة ترضي جميع أطراف عملية التواصل وهذه الأخيرة أولاها اعتبارا كبيرا و عناية على حساب الأولى [3].

فالعملية التواصلية تتطلب خلفية معرفية ينبغي أن يستند عليها طرفا الخطاب ، فعلى المتكلم أن يراعي عدة أمور من بينها : حال المخاطب و شخصيته ؛ومكانته الاجتماعية ،و قدرته على فهم هذا التأويل من خلال امتلاكه لآليات تساعده على ذلك، ولا ننسى أيضا الآليات البلاغية التي لها دور بارز في هذا الصدد مثل : التشبيه ،والمجاز ،و الاستعارة ،التي تخرج من نطاق الحرفية إلى الاستلزام [4].

(1) ينظر : حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي ،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب،ط1،2004م ،ص128.
(2)ينظر:بنعيسى أزاييط:الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الإضماري-(من التجريد إلى التوليد)،ص275-277.
(3) ينظر:آن ربول و جاك موشلار:التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ص52.
(4) ينظر : باديس لهو يمل :مظاهرالتداولية في مفتاح العلوم للسكاكي،عالم الكتب الحديث،اربد-الأردن،جامعة محمد خيضر،بسكرة-الجزائر،ط1،ص3(المقدمة)-11(المدخل).

اهتم جرايس بالمعنى أو القصد الذي يعد محورا أساسيا في نظريته الاستلزامية ، هذه الأخيرة ساهمت بشكل كبير في حل جملة من المشاكل سواء الفلسفية أو المنطقية[1].من هذا المنطلق يمكننا أن نحدد مصطلح اللزوم implication في استخدامين[2] :

الأول : يتمثل في أن اللزوم يكمن في العلاقة التي تربط المقدمات بالنتائج التي تستخلص وفق قواعد محددة.

الثاني :يتجسد في أن اللزوم علاقة تكمن بين أجزاء قضية شرطية صادقة يسمى الطرف الأول منها بالمقدم في حين يسمى الطرف الثاني بالتالي.

2-المبحث الثاني : مبدا التعاون وقواعده التخاطبية

تقوم نظرية الاستلزام الحواري على مبدأ أسماه جرايس "بمبدأ التعاون" principale cooperative و الذي يكون بين المرسل و المرسل إليه، والذي يؤدي بدوره إلى تحقيق نوع من الانسجام .

صاغ جرايس هذا المبدأ على الشكل الآتي : " لتكن مشاركتك في التخاطب عند حصولها على النحو الذي يتطلبه الغرض أو الاتجاه المرسوم للتخاطب"[3].يهدف هذا المبدأ إلى تعاون طرفي الخطاب من أجل تحقيق الهدف المنشود من هذا الخطاب سواء أكان هذا قبل الدخول في العملية التخاطبيةأو أثناءها "[4]..يرى جرايس أن كل مساهم و مخاطب في العملية التواصلية يفترض أن يحترم مبدأ التعاون،فالمشاركون في هذه العملية يتوقعون محادثة يشارك فيها كل واحد ولكن بطريقة عقلانية و متعاونة لتسهيل عملية تأويل الأقوال [5]'و تنطوي تحت هذا المبدأ قواعد فرعية أطلق عليها جرايس بالقواعد التخاطبية conversational maxims

(1) ينظر : صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص12-16.
(2) ينظر :المرجع نفسه،ص78.
(3) راضي رشيد :الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول جرايس ،مجلة الفيصل، شوال1420هـ،يناير(فبراير)،2000 ، العدد280،م،ص57.وعبد الهادي بن ظافرالشهري:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت ،لبنان،ط1،آذار/مارس،2004م،ص96.
(4) ينظر:راضي رشيد :الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول جرايس،ص57.وعبد الهادي الشهري:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص96.
(5) ينظر:نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي،عالم الكتب الحديث،ط1،اربد الأردن، 2012 م ،ص 76، وأحمد المتوكل.:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ،ص26-27،وصلاح إسماعيل :نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس ،ص87.،و قويدر شنان:التداولية في الفكر الانجلو سكسوني المنشأ الفلسفي و المآل اللساني ،ص17-18.

2-1-القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون:

قدم جرايس قواعد متفرعة عن المبدأ العام تتمثل في : الكم و الكيف والجهة(الصيغة)و الملاءمة(الإظافة)

وهذا بيانها: [1]

- **قاعدة الكم(quantity)** : تنطوي تحتها مقولتين هما :

-لتكن إفادتك المخاطب على مقدار المعلومة التي تطلب منك.

- لا ينبغي أن تتجاوز القدر المطلوب منك.

- **مقولة الكيف (quality)** : تنطوي تحتها مقولتين وهما :

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب .

- لا تقل ما ليس لك عليه بينة

- **مقولة الجهة / الصيغة (manner)** : تحكمها قاعدة كبرى وهي " كن واضحا" ، وتندرج عنها قواعد فرعية وهي : -اجتنب الغموض obscurity / اجتنب اللبس ambiguity / كن موجزا / كن مرتبا
- **مقولة الملاءمة / الإضافة (relation)** : تحكمها قاعدة واحدة وهي :

- كن ملائما .

يكمن الهدف من هذه القواعد في ضبط مسار الحوار من خلال إتباع هذه القواعد مع المحافظة على المبدأ العام الذي يحكمها و الذي نصل من خلاله لمقاصدنا بكل وضوح[2] ؛ فتصبح بذلك المعاني صريحة، ولكن إذا خرق* المتحاورون أي قاعدة من هذه القواعد، فاءن الخطاب سينتقل

(1) ينظر : صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص12-16.

(2) ينظر :حسان الباهي :الحوار و منهجية التفكير النقدي ،ص127

*خرق violation يعد مستوى آخر من مستويات توليد الدلالة عند جرايس،يستطيع المتكلم من خلاله تضمين مجموعة من المعاني،ويقوم المستمع باشتقاقها من الرسالة من خلال قرائن لفظية و مقالية، وعلى المعارف المشتركة بين المتكلم و المستمع.وهذه الخاصية موجودة عند العرب خاصة في كتب البلاغة العربيةوقد ترجم مصطلح violation لعدة مصطلحات منها:انتهاك،وخرق،وعدم احترام،وعدم المراقبة.ينظر:راضي رشيد :الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول جرايس،ص57.

من المعنى الصريح (الظاهر) إلى المعنى الضمني(الخفي) ، ومن هنا بدا أن على المخاطب أن ينقل كلام محاوره من الظاهر إلى الباطن وهو ما يمكننا أن نطلق عليه بالاستلزام الحواري .[1]

بحسب منظور جرايس فإن طرفي الخطاب قد يقبلان هذه القواعد و يجعلونها بمثابة المسلمة وعليه يفترض في الطرف الأول (المتكلم) أن لا يتكلم أكثر ولا أقل مما طلب منه (الكم)، وأن يحمل كلامه الصدق و الإخلاص (الكيف)، وأن يكون مقاله مناسبا للمقـــام (الإضافة)، كما يجب أن يكون واضحا في كلامه (الجهة) .،والمثال الآتي يجمع كل هذه القواعد وهو حوار دار بين الأب و الأم[2].

الأب: أين الأولاد ؟

الأم : إما أنهم يلعبون أسفل المبنى أو ذهبوا لشراء بعض الأشياء ، لست متأكدة أين هم على وجه الدقة.

- **تحليل المثال** :
  - إن تقديم الأم للقدر الصحيح من المعلومات (جعلها تلتزم بمبدأ الكم).
  - إجابة الأم بكل صدق (جعلها تلتزم بمبدأ الكيف) .
  - إدراك الأم هدف زوجها من طرحه الســـؤال وهذا ما أدى إلى أن تكون إجابتها ملائمـــة (جعلها تلتزم بمبدأ الإضافة) .
  - إجابة الأم بكل وضوح (جعلها تلتزم بمبدأ الجهة) [3].

نستنتج من كل هذا أن الأم احترمت كل القواعد مما يجعل الاستلزام الحواري في هذا المثال غير متحقق وهذا راجع لعدم وجود تمييز بين ما قالته وما تعنيه[4].

---

(1)ينظر :صلاح إسماعيل :نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس،ص88.
(2)ينظر :المرجع نفسه،ص88.
(3)ينظر :المرجع نفسه،ص88.
(4)ينظر :آمنة بلعلى :المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته،محاضرات الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي،منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية،،20/19 أفريل،2004م،ص281.

تقف نظرية جرايس على أمرين مهمين وهما : الأول يتجسد في إتباع القواعد المترتبة عن مبدأ التعاون والثاني يتضمن الخروج عنها.يرى جرا يس أن الناس قد يخفقوا في مراعاتهم للقواعد واحترامها في بعض الأحيان ، وهذا نتيجة للكذب و الخداع أو عدم إيصال الفكرة عند التعبير بكل وضوح[1]، فإتباعها يولد لنا فائدة قريبة ، و الخروج عنها يولد فائدة بعيدة [2]. ولتوضيح هذا الخرق نطرح مجموعة من الأمثلة التي يتحقق من خلالها الاستلزام الحواري وهي كالآتي:

-خرق لقاعدة الكم : في حوار بين الأم (أ) وولدها (ب) :

أ- هل درست ووظبت غرفتك ؟ - ب-درست .

سؤال الأم يحمل مبنيين ، لكن إجابة ابنها كانت على شق واحدة أي لم يجب عن الأمرين معا وعليه ينبغي على الأم أن تدرك أن ابنها لم يوضب غرفته ،كما أنه لا يريد الإجابة ب(لا) حتى لا تحمل إجابته على شيء لم يقم بفعله.وفي هذا المثال **خرق لقاعدة الكم**.

-**خرق لقاعدة الكيف** : في حوار بين التلميذ (أ) وبين الأستاذ (ب) ، وكلاهما انجليزي :

أ- طهران في تركيا ، أليس صحيحا هذا يا أستاذ ؟ - ب- طبعا ، ولندن في روسيا ؟

فجواب الأستاذ هنا فيه انتهاك لمبدأ الكيف،حيث يتطلب ألا يقول إلا ما يرى فيه الصواب وما يملك عليه دليلا .فالإنتهاك هنا مقصود من أجل تبيان الخطأ للتلميذ و توبيخه على الجهل بمثل هذا الشيء. فالتلميذ قادر على بلوغ مراد الأستاذ، لأنه على علم بأن لندن ليست في روسيا والأستاذ يقصد شيئا آخر على غرار ما تقوله الكلمات وهو أن قول (ب) غير صحيح.

-خرق لقاعدة الجهة / الصيغة :في حوار بين رجلين (أ) و(ب) :

أ- ماذا تريد ؟ - ب- انهض، واتجه إلى غرفة لضيوف ، وضع القهوة على المائدة ، ثم قدمها للضيوف، ثم عد بعد ذلك وأغلق الباب برفق .

(1)ينظر :صلاح إسماعيل :نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس،ص88.
(2)ينظر :المرجع نفسه،ص88.

قول (ب) فيه انتهاك لمبدأ الصيغة، وكان عليه الإيجاز ، كان بإمكانه قول : قدم القهوة من هذا ندرك أن كلام (ب) يحمل قصدا آخر وهو أنه شخص كسول وبطئ.

-خرق لقاعدة الملاءمة / الإضافة / المناسبة : في حوار بين رجلين (أ) و(ب) :

أ- أين زيد ؟ - ب- ثمة دراجة صفراء تقف أمام منزل عمر.

الكلام الذي قاله (ب) ليس إجابة عن السؤال ، فقد انتهك بذلك مبدأ الملاءمة ، فالسامع من خلال المبادئ الأخرى يسأل نفسه ما العلاقة بين وقوف دراجة صفراء أمام منزل عمر وسؤالي عن مكان زيد،ليصل فيما بعد إلى أن المراد بالقول إبلاغه رسالة مفادها أن إذا كانت لزيد دراجة صفراء فلعلها عند عمر.وعليه ندرك أن الاستلزام الحواري لا يقتصر على ما هو حقيقي بل يتعداه لكل ما هو مجازي[1].

2-2-خصائص الاستلزام الحواري:يمكن تلخيص هذه الخصائص في الآتي:

-لا يمكن إلغاؤه بمعنى أننا نقول كلاما قد يقف كحاجز أمام الاستلزام مثال: إذا قالت قارئة لكاتب مثلا : لم اقرأ كل كتبك ،يستلزم أنها قرأت البعض فقط،لكن إذا تم تعقيب كلامها ب: الحق إني لم اقرأ أي كتاب منها ، فهنا ألغت الاستلزام .

-لا يقبل الانفصال عن المضمون الدلالي، يقصد جرايس أن الاستلزام مرتبط ارتباط وثيق بالدلالة وليس بالصيغة اللغوية.

-متغير: بمعنى أن تعبير واحد يعبر عن استلزامات عديدة وفي هذا الصدد نصوغ المثال الآتي : سؤال طفل يحتفل بيوم ميلاده مثلا : كم عمرك، فهنا طلب للعلم ، وإذا سئل نفس السؤال لصبي عمره خمسة عشر عاما فهنا يدل على قيامه بنوع من السلوك لا ترضاه.ونفس السؤال أيضا يطرح لفتى يمنع من اتخاذ قرار لا يخرج عن تعاليم الدين و الأخلاق و الأعراف ويقصد منه النضج الذي يمكنه من اتخاذ القرارات وتحمل العواقب .

- يمكن تقديره : بمعنى أن المخاطب عليه القيام بخطوات مدروسة تمكنه من بلوغ الهدف [2]

(1)ينظر:محمودأحمد نحلة :أفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر،ص38.
(2)ينظر:المرجع نفسه ،ص38-39.

3-المبحث الثالث: مبدأ التعاون في ميزان النقد

فتح مبدأ التعاون بابا واسعا في الدراسات التي تمس جانب التواصل الإنساني،لكن لم يسلم من الانتقادات التي نذكر منها : [1]

- قواعده لا تضبط إلا الجانب التبليغي من العملية التواصلية، في حين نجد أن الجانب التهذيبي قد أسقط.هناك إشارة للجانب التهذيبي عند جرايس لكن رغم ذلك لم يوله أي أهمية وهذا راجع للأسباب الآتية: [2]

- لم يذكره منفصلا ، بل ربطه بالجانب التجميلي و الاجتماعي كونها لا تستجيب لغرض المخاطبة الذي يتمثل في نقل الخبر على أتم صورة.
- لم يبين كيف يمكننا أن نضع هذه القواعد التهذيبية ولا كيف يمكننا ترتيبها .
-عدم تفطنه إلى أن الجانب التهذيبي هو الأصل في خروج العبارة عن إفادة المعاني الحقيقية أو المباشرة[3]

هناك من الدارسين من وجد في هذا المبدأ نظرية مكتملة الجوانب لا تضاهيها أي نظريات أخرى،في حين لجأ البعض إلى إكمال النقص الذي يعتريه وذلك بإيجاد بدائل تكمله من بينها : مبدأ التأدب (التهذيب)-و مبدأ التواجه (العمل)- ومبدأ التأدب الأقصى (التقرب)- ومبدأ التصديق (الصدق و الإخلاص) وهذا بيانها :

2-3-المبادئ المكملة و المتفرعة عن مبدأ التعاون :

1-1-مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب [4]،: أوردته (روبين لاكوف) robin lakoffe من خلال مقالتها " منطق التأدب" صاغته على النحو التالي: لتكن مؤدبا ،والذي يلزم أن المتكلم و المخاطب ينبغي أن يتعاونا على تحقيق الغاية التي دخلا من أجلها في الكلام.ويضم هذا المبدأ ثلاث قواعد فرعية وهي : التعفف-التشكك-التودد.

(1) ينظر:طه عبد الرحمن :اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1،1998م،ص239.
(2) ينظر :المرجع نفسه ،ص239-240.
(3) ينظر:المرجع نفسه ، ص240.
(4) .ينظر :المرجع نفسه،ص240-241-242.
.

1-2-القواعد المتفرعة عن مبدأ التأدب:

أ-قاعدة التعفف : بمعنى لا تفرض نفسك على المخاطب،ولا تحمله على فعل ما يكره، والاحتراز من استخدام عبارات الطلب المباشرة، وعدم التدخل في الأمور الخاصة ، والاعتذار منه.

ب-قاعدة التشكك : أترك حرية الاختيار للمخاطب ، مع تجنب أسلوب التقرير.

ج-قاعدة التودد : لتظهر الود للمخاطب ، استعمال ضمير المخاطب التي تقوم صيغ التضامن والصداقة.

1-3-نقد مبدأ التأدب : قواعده تندرج من القوة إلى الضعف، أي من التشكك للتعفف، وعليه فقاعدة التودد أقوى من التشكك،والقيام ببعض القواعد يسقط البعض الآخر . وإتباع قاعدتين معا يلزم المتكلم و المخاطب الإنتقال من مستوى تخاطبي إلى.مستوى آخر غيره. فالتهذيب في الأساس يقوم على العمل وعليه نجد أن لاكوف لم تذكر الوظيفة العملية و الإصلاحية في قواعدها الثلاث.

2-1-مبدأ التواجه واعتبار العمل (مقابلة الوجه للوجه) [1]

أورده (بينلوب براون) Penelope brownو (ستيفن ليفنصون) stephen levinson في دراسة مشتركة " الكليات في الاستعمال اللغوي : ظاهرة التأدب" وصيغة هذا المبدأ هي : " لتصن وجه غيرك"[2] .ويقوم المبدأ على مفهومين هما : الوجه و التهديد. يراد بالوجه الذات التي يدعيها المرء لنفسه من أجل تحديد قيمة اجتماعية وهو على ضربين : سلبي(دافع) ويراد به دفع الإعراض الذي يقع من غيره ،وأخر وايجابي (جالب) يراد به أن يعترف غيره بأفعاله.

أما التهديد فهو الأقوال التي تعوق إرادة المتكلم سواء في دفع الاعتراض أو جلب الاعتراف.أما فيما يخص المستمع فقد يكون عن طريق الطلب ،و الأمر،والنصح ،والإنذار،الوعيد وغيرها ولهذا المبدأ قواعد تخاطبية متفرعة عنه من أجل التخفيف من التهديد ملخصها في الآتي: [3]

(1) ينظر:طه عبد الرحمن :اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،ص243.
(2)المرجع نفسه،ص 243.
(3)ينظر: المرجع نفسه،ص243-244-245.

أ-أن يمتنع المتكلم من إيراد القول المهدد مثل : امتناع المتكلم عن طلب إغلاق النافذة ، لأن في الطلب مجازفة بالوجه تضر به أو تضر بالمستمع.

ب-أن يصرح بالقول المهدد دون إحداث تعديل يخفف من جانبه التهذيبي مثل : طلب المتكلم من المستمع إغلاق النافذة دون الولوج لأي صيغة تلطف من التهديد لهذا الطلب مثل : "اطلب منك أن تغلق النافذة".

ج-أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب مثل : طلب المتكلم من المستمع إغلاق النافذة مع بعض التوسل من قبيل قوله : " هل لك أن تغلق النافذة "

د- أن يصرح بالقول المهدد مع إدخال بعض التعديل الذي يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب مثل : طلب المتكلم من المستمع إغلاق النافذة مع التوسل بصيغة تحفظ الوجه الجالب للمسمع من قبيل قوله : " ألست تبادر إلى إغلاق الباب كلما عرضنا لمجرى الهواء".

هـ-تأدية القول بواسطة التعريض، مع ترك الإختيار للمستمع لأحد المعاني المحتملة من قبيل قوله : إن الجلوس في مجرى الهواء مؤذ إيذاء.

2-2-نقد مبدأ التواجه [1]:

من بين المأخذ التي تسجل على هذا المبدأ أنه جعل الأصل في دخول المتكلم للعمل هو عنصر التهديد، مما يضيق مجال عمل المتكلم في تلطيفه للعبارات والتخفيف من حدة الأثر الذي تتركه لكن هذا الموقف يرد عليه اعتراضان:

1 -إنزال وصف التهديد على جميع الأقوال حيث تصير كلها حاملة لهذا التهديد.

2-تضييق مجال العمل المقوم للتهذيب و حصره في وظيفة التقليل من تهديد الأقوال.

3-1-مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب[2]:

أورده (جوفري ليتش) geoffrey leech من خلال كتابه "مبادئ التداوليات " وهو مكمل لمبدأ التعاون ،وهو على صورتين : سلبية ويراد بها التقليل من الكلام غير المؤدب وايجابية يقصد بها الإكثار من الكلام المؤدب.وتتفرع عن هذا المبدأ قواعد فرعية هي:اللباقة —السخاء-

(1) ينظر:طه عبد الرحمن :اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،ا،ص244-245-246..
(2) ينظر:المرجع نفسه،ص246-247..

الاستحسان–التواضع –الاتفاق والتعاطف وهذا بيانها:

––قاعدة اللباقة: وتأتي على صورتين :–قلل من خسارة الغير/– أكثر من ربح الغير.

–قاعدة السخاء : وهي أيضا تحتوي على صورتين : قلل من ربح الغير /– أكثر من خسارة الذات .

–**قاعدة الاستحسان** : تندرج ضمنها صورتين :– قلل من ذم الغير/– أكثر من مدح الغير.

–**قاعدة التواضع** : تتجسد في صورتين : – قلل من مدح الذات /– أكثر من ذم الذات.

–**قاعدة الاتفاق**:تنطوي تحتها صورتين:– قلل من اختلاف الذات مع الغير/– أكثر من اتفاق الذات مع الغير.

–قاعدة التعاطف :و تتضمن هي الأخرى صورتين : –قلل من تنافر الذات و الغير/–أكثر من تعاطف الذات و الغير.

القواعد التي تم عرضها وخاصة القاعدة الأولى (اللباقة) يراها (ليتش) وكأنها خطة ترفع كل ما يمكن أن يوقعنا في النزاعات أو يسد طريق التعاون ، فمبدأ التأدب الأقصى يحافظ على الصلات الاجتماعية،التي تعد شرطا أساسيا في التعاون مثل: الأوامر غير المصرح بها تكون في تعبير مطول والتي تخل بقواعد التعاون القائمة على الإيجاز و الوضوح ،لكن مع ذلك تحافظ على التعاون و تواصله وكان هذا التطويل أوفى بالغرض الذي يرمي إليه المتكلم للنهوض بالمخاطب إلى انجاز الأمر وللتوضيح نقدم مثال [1]: أ – مدني بالمال / ب–أريد أن تمدني بمال.

ج–هل تستطيع أن تمدني بمال / د–ليتك تمدني بمال.

الجملة(أ) لها معنى مباشر للأمر وهي اقل لباقة مما يفتح باب الخلاف .أما الجملة (ب)فهي أكثر لباقة تستبدل بالجملة الامرية جملة خبرية تترك للمخاطب الاختيار فيما طلب منه،أما الجملة (ج)أكثر لباقة من (أ) و(ب)كونها أتت في شكل سؤال يفتح المجال للمخاطب بالإجابة بنعم أو لا أما الجملة (د) أكثر لباقة من الجمل السابقة فهي لا تحمل أي طمع من طرف المتكلم.

(1) ينظر:طه عبد الرحمن:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص247–248.

3-2-نقد مبدأ التأدب الأقصى[1]:

نلاحظ أن (ليتش) جعل من اللباقة سببا في استعمال المتكلم لتعابير غير مباشرة ،لأن اللباقة عنده درجات وهذه الدرجات أسسها على الاختيار الذي أبدعته (لايكوف)،والسلطة والتضامن من (براون) و(ليفنصون) ، حيث أظاف لهما الربح و الخسارة اللذان اكتشفهما.أما فيما يخص القواعد الأخرى تقتضي سلوكات مؤمنة للمتكلم الفائدة منها حصول عمل تهذيبي شبيه بالتقرب.فالربح والخسارة كمفهوم للـــباقة والسخاء المقصـــود منها أن كل الأفعال و الأقوال المتأتية من المتكلـم

والمخاطب تقدر بالفائدة،لكن هذا أشبه ما نسميه بالمعاملات التجارية القائمة على المصالح والخدمات المتبادلة بين طرفي الخطاب بالدرجة الأولى مهملة بذلك كل ما يمس الجانب الأخلاقي.

يمكننا القول إن العمل التهذيبي هو العمل الذي يخلو من كل مصلحة ، وهذا ما لم نجده في مبدأ التأدب الأقصى القائم على التقرب الذي جعل من التظاهر و المصالح منهجا يستند عليه في عمله.و من هذا المنطلق وجب طلب مبدأ آخر تنعدم فيه كل المصالح والأغراض،بحيث نجد التقرب فيه قائم على الصدق في العمل.

4-1-مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص[2]:

انطلق الباحث المغربي طه عبد الرحمن في مبدئه الصدق و الإخلاص من التراث العربي في عمل قدمه تحت عنوان (مجال التداول الإسلامي العربي).والذي تحدث عنها في قوله : " لا سبيل إلى تقويم الممارسة التراثية ما لم يحصل الاستناد إلى مجال تداولي متميز عن غيره من المجالات بأوصاف خاصة ومنضبط بقواعد محددة ،يؤدي الإخلال بها إلى أفات تضر بهذه الممارسة".كما يعد هذا المبدأ بمثابة المصحح للمبادئ السالفة الذكر ، حيث عمل بجهد من أجل سد الثغرات و إكمال النقص الذي اعترى المبادئ الأخرى.يقوم مبدأ التصديق على ما يمكن أن نطلق عليه " مطابقة القول للفعل " و "تصديق العمل للكلام". [3]

صاغ طه عبد الرحمن هذا المبدأ وفق مقولة مؤداها " لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك " . فقد أسس دعوته على ثلاثة عناصر أساسية تتمثل فيما يلي :

(1) ينظر: طه عبد الرحمن:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص248-249.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ، ص249
(3) طه عبد الرحمن :تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-المغرب،ط2،(د.ت).ص243.

1-تميز التداولية عن غيرها من المجالات الثقافية .

2-تصنيف القواعد التي تضبط هذا المجال و ممارستها على التراث.

3-أصناف الآفات التي تنجر عن الإخلال بقواعد هذا المجال.

يتأسس مبدأ التصديق على عنصرين اثنين هما : (نقل القول)و يمس الجانب ألتبليغي، في حين نجد الآخر (تطبيق القول) يدخل ضمن الجانب التهذيبي.ينطوي تحت مبدأ التصديق قواعد كبرى لامست جوانب التواصل و التعامل .حيث تندرج عن كل واحدة عدة قواعد فرعية .

4-2-قواعد التواصل المتفرعة عن مبدأ التصديق: [1]

ترتب عن مبدأ التصديق في جانبه التبليغي قواعد وردت عند الماوردي من خلال كتاب " أدب الدنيا والدين" وهي :

-أن يكون الكلام خطابا لهدف معين ، إما ذا نفع أو ذا ضرر.

-أن يكون كلام المتكلم في موضعه ولكن دون إصابة الفرصة .

- يجب أن يفي الكلام بالغرض دون إطناب . -يجب انتقاء الكلام المتلفظ به[2]

جمع طه عبد الرحمن المبدأ العام عند جرايس وما يتضمنه من قواعد فرعية باستثناء قاعدة الكيف /الصدق في القواعد الأربعة التي ذكرها عن الماوردي، ويعود سبب عزل قاعدة الكيف إلى ما يلي:

أ-**القاعدة الأولى** : بمنزلة مبدأ التعاون كونها تتطلب هدفا من أجل العملية التخاطبية.

ب- القاعدة الثانية : بمثابة قاعدة العلاقة التي تقضي بان يكون لكل مقام مقال يتناسب معه.

ج- القاعدة الثالثة :شبيهة بقاعدة الكم تكتفي بما هو ضروري فقط ، حتى إذا كان هناك تقصير من جهة الكلام وهو ما أطلق عليه الماوردي (حصرا)* ، أما إذا خرج الكلام إلى حد التكثير سماه (هذرا)*.

(1) ينظر:طه عبد الرحمن:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص249-250.
(2) ينظر:المرجع نفسه، ص250.
*حصرا:التضييق والحبس.الفيروز أبادي: القاموس المحيط،ص339.
*هذرا:هذر كلامه،كفرح :كثر في الخطأ و الباطل.المرجع نفسه،ص447 .

د– القاعدة الرابعة : بمنزلة قاعدة الجهة التي تتطلب مراعاة المعاني وصحتها مع فصاحة الألفاظ و وضوح الأساليب ، لكن المعنى قد يختل واللفظ يستغلق وهذا في حالة خروج الكلام عن هذه القواعد[1].

4–3––قواعد التعامل المتفرعة عن مبدأ التصديق [2]

تندرج عن مبدأ التصديق من الناحية التهذيبية قواعد استقاها طه عبد الرحمن من التراث الإسلامي العربي صاغها في ثلاث قواعد وهي :

أ– قاعدة القصد : لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

ب–قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.

ج– قاعدة الإخلاص :لتكن في تودك للغير متجردا من أغراضك .

يمكننا القول إن هذه القواعد تتقاطع مع قواعد التأدب و التواجه مع تجنب القصور . فقاعدة القصد مثلا يندرج عنها أمران أساسيان هما :ربط المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة، و إمكانية الخروج عن ظاهر القول من خلال التلميح الذي يتطلب بعض العمليات من بينها عملية التأويل للوصول إلى المعنى المراد الوصول إليه

إن الربط بين المستويين :التبليغي و التهذيبي لدى المتكلم وإذا توضحت الحقيقة من قوله فهذا سيثمر نتيجتين الأولى تتجسد في تحديد المسؤولية الأخلاقية، و الثانية تتمثل في صيانة المتكلم لقوله من كل لغو وهذا لإفادة المخاطب .فالنتيجة الأولى تمس الجانب التهذيبي أما النتيجة الثانية فتمس الجانب التبليغي

أما فيما يخص إمكانية الخروج عن ظاهر القول فإذا عول فيه على القصد فإنه يجوز أن يتفاوت المقصود من الكلام عن ما هو مضمر وعليه فإن المخاطب يحتاج في عمله إلى تحمل المسؤولية التي ينبغي الوصول إليها من القول مثلما تحملها المتكلم من خلال تفقد قصـــــــده الذي أوصله

(1) ينظر:طه عبد الرحمن:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص250.
(2) ينظر:المرجع نفسه، ص250.

بالتلميح لا التصريح وعلى هذا يجب على المخاطب أن يتابعه بمساعدة القرائن سواء المقالية أو المقامية المرتبطة بهذا القول دون علمه بأن هذا هو مراد المتكلم. [1]

أما قاعدة القصد من حيث أنها أخذت بالعمل من الناحية التهذيبية سواء أكان هذا من جهة المتكلم أومن جهة المخاطب .أما قاعدة الصدق تتطلب الصدق في المستويات الثلاثة : [2]

"الصدق في الخبر" و" الصدق في العمل" و " مطابقة القول للفعل".فالمستوى الأول يجب أن يحفظ فيه المتكلم لسانه من قول شئ للمخاطب على غرار ما هو عليه.أما المستوى الثاني ينبغي فيه أن يحفظ المتكلم سلوكه بحيث لا يترك للمخاطب الشعور بأوصاف مغايرة على ما هي عليه.في حين أن المستوى الثالث يتجسد من خلال المستوى الأول و الثاني وذلك بحفظ المتكلم للسانه و سلوكه حيث لا يترك للمخاطب فرصة وجود أي تفاوت بينهما.

ويترتب عن هذه الأصناف من الصدق ثلاث أفضليات :

أ-فعل المتكلم لشيء لم يقله أفضل من القول دون فعل.

ب-تقدم فعل التكلم عن قوله أفضل من تقدم قوله على فعله.

ج-ينبغي أن يكون المتكلم أعمل بما يقوم أفضل من أن يكون غيره أعمل به.

أما قاعدة الإخلاص تتمثل في أن المتكلم ينبغي أن يقدم حقوق المخاطب على حقوقه وهذا لا يعد تقليلا من شانه. لا تنطوي على أي إضاعة لحقوقه،بل هي حقوق ثابتة تقوم على التجرد المتبادل عن كل ما يؤدي للتنازع،كما تتأسس على التأدب المتبادل كلما زاد أدب احدهما ،دعا الآخر للزيادة فيه ،بحيث لا يقل أدبه في شيء،وإنما يزيده رفعة في عين غيره،ويكمن التبادل في التجرد عن كل غرض والتبادل في التأدب في استعداد كل منهما لا أن ينسب إلى الآخر الوصفين التاليين: أ-أنه أكبر قدرة على الانفكاك عن موانع التقرب.

ب-أكثر إتباعا للمعايير الأخلاقية.

(1) .ينظر :طه عبد الرحمن :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص251.
(2) ينظر:المرجع نفسه ،ص251-252.

.

يوضح طه عبد الرحمن أن كل المبادئ تتفاضل فيما بينها ويمكننا أن نوضح ذلك كالأتي : [1]

تفضيل مبدأ التأدب لمبدأ التعاون الذي يهتم بالجانب التهذيبي، في حين نجد أن مبدأ التواجه يفضل مبدأ التأدب كونه يولي أهمية للعمل من الوجهة التهذيبية، وأما مبدأ التأدب الأقصى يفضل مبدأ التواجه باعتباره يقف على التقرب من الغير التي يقوم بها العمل، ومبدأ التصديق يفضل مبدأ التأدب الأقصى ، الذي ينبني على شرطين أساسيين ألا وهما:الصدق والإخلاص.

من هذا المنطلق يعد مبدأ التصديق أفضل المبادئ وأكملها ، كما انه بمثابة الأصل في الممارسات التراثية الإسلامية العربية، فهذا العمل الذي قام به هذا الباحث والذي استلهمه من الغرب استلهام تأصيلي ينم عن فهمه لها بعمق وللخلفيات التي تستند عليها مع الوقوف على الخصوصيات و النقائص مع التمثل و المراجعة لنظائرها من المفاهيم ووجهات النظر عند علماء الإسلام.

حاصل النظر فيما تقدم يمكن تلخيصه في الآتي :

- ✓ العملية التواصلية لا تنطلق من فراغ بل تتأسس على مرجعيات تعود إلى طبيعة المتحاورين أنفسهم بالإضافة إلى مجموعة من المبادئ و المعارف التي تتداخل فيما بينها.
- ✓ عمل جرايس على جعل الحوار يقوم على قواعد من شأنها ضبط العملية التحاورية و أي خرق لأي قاعدة من القواعد الفرعية التي تندرج تحت مبدأ التعاون سوف يؤدي بالضرورة إلى الانتقال من المعنى الحرفي للجملة إلى معنى آخر مستلزم ضمني .
- ✓ سعى جرايس إلى جعل نظريته نظرية مكتملة إلا أن هذه النظرية لم تسلم من النقد مما ألزم وجود بدائل ومكملات لها من شأنها سد النقص ، ومن بين الذين ساهموا في هذا نجد(لاكوف) التي أولت جل اهتمامها للجانب التهذيبي الذي أغفله جرايس ، إلا أن هذا المبدأ لم يسلم أيضا من النقد فقد تدخل (بنلوب براون) و(ستيفن ليفنصون) اللذان تداركا ما أغفلته (لاكوف) في مبدئها المعروف بالتأدب فأتيا بالبديل للتأدب وهو مبدأ التواجه الذي ركزوا فيه على التهديد الذي يعد الأصل في القول.

(1) .ينظر :طه عبد الرحمن :اللسان والميزان او التكوثر العقلي ،ص253.

- ✓ وضع العالم (جوفري ليتش)مبدأ آخر يقوم على الصدق و الإخلاص وهو مكمل لمبدأ التعاون،إلا أن التقرب فيه جعله يميل للتظاهر الذي يسئ للغير، من هذا المنطلق جاء الباحث طه عبد الرحمن وقدم لنا رؤية شاملة و مضبوطة لكل ما سبق فقد قام بالتأصيل و التمثل حيث قدم مبدأ آخر أسماه بمبدأ التصديق والذي يتضمن ثلاثة قواعد ألا وهي: الصدق،والإخلاص،والقصد التي تمس الجانب التعاملي في العملية التحاورية ، أما الجانب التواصلي فقد قصره على النفع و الضرر وإصابة الفرصة والحاجة و الأسلوب.

.

الفصل الثاني:

الدلالات المستلزمة في أصول البلاغة

لكمال الدين بن ميثم البحراني

تـــــوطئة:

تميز البحراني في كتابه (أصول البلاغة) بعرض المسائل البلاغية التي تفرد بها عن غيرها من الكتب ،وهذا واضح بصورة جلية في قوله :" هذه أصول علم البلاغة جردتها من الحشو المذموم وضـــــبطتها بالحـــــدود والرســـــوم؛ ليســـــهل حفظهـــــا ويكثـــــر نفعهـــــا"[1] يكمن هدف البحراني في تأليف كتابه (أصول البلاغة) في خدمة شرح (نهج البلاغة) وهذا من خلال مقدمة نظرية جمع من خلالها أصول البلاغة ،فالمدقق في كتاب البحراني يرى أنه يسير على خطى الرازي حيث قام بتقسيم كتابه إلى مقدمة وبابين ، تطرق في المقدمة لعلم الدلالة ،أما فيما يخص الباب الأول : تطرق فيه للفصاحة الخاصة بالمفردات حيث يبدأ من الصوت،فالحرف وصولا للكلمة هذا ما استلزم بدوره تقسيم الباب إلى ستة فصول.أما الباب الثاني :فشمل الفصاحة الخاصة بالنظم والتأليف .

(1)البحراني: أصول البلاغة،تحقيق :عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة،(د.ط)، 1401هـ/1981م، ص24(مقدمة المحقق)-33.

1-المبحـــث الأول : علـــم المعـــاني

تطرق ميثم البحراني للدلالات المستلزمة من خلال علم المعاني الذي يدرس الأساليب الإنشائية الطلبية و غير الطلبية، والأساليب الخبرية التي لم يكن لها نصيب كبير مثل علم البيان،إلا أن ذلك لم يمنعه من الكلام عنها، فقد وضح البحراني كيفية خروج هذه الأساليب عن الاستعمال الذي وضعت من أجله من " تمني، واستفهام ،وأمر، ونهي، ونداء" إلى معاني أخرى مستلزمة يمكن أن تفهم من المقام، وهذا لا يتحقق إلا بجملة من القوانين التي تدرس كل أسلوب على حدا. نلمس من خلال دراستنا لكتاب البحراني اقتصاره على أسلوب الاستفهام والنداء فقط وهذا من حيث الطلب، في مقابل ذلك نجده قد قصر دراسته على الخبر من حيث الإثبات والنفي ، وهذا دليل على أنه لم يولي اهتماما لعلم المعاني مثلما فعل مع علم البيان.

1-1-.الأساليب الخبرية بين الإثبات و النفي[1] :

تطرق البحراني للخبر من حيث الإثبات و النفي إلا أنه لم يعرفه،وإنما اعتمد على التمثيل للتوضيح،وعليه فالخبر عند اللغويين ورد بمعنى الإعلام و الخبر العلم بالشيء.كما ورد بمعنى آخر مرتبط بمدى الصدق و الكذب، وقد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي الذي وضع من أجله إلى معنى ثان يتم بلوغه بواسطة العوامل الخارجية التي تشتمل عليها أي عملية تخاطبية ومن بين المعاني التي يخرج إليها الأسلوب الخبري نجد على سبيل المثال لا الحصر منها : التعجب،والتمني،و الإنكار،والنفي،و الأمر،و النهي،و التعظيم،و الدعاء،و الوعد والوعيد،وغيرها من الدلالات المستلزمة للخبر.والخبر بالنسبة للبحراني ورد بين الإثبات و النفي وهو قريب جدا مما قدمه الجرجاني في كتابه(دلائل الإعجاز) فيما يخص "الخبر المثبت" و"تقديم المحدث عنه في الخبر المنفي".وكما هو معلوم عند البلاغيين أن الخبر على ثلاثة أضرب[2] :ابتدائي و طلبي وإنكاري.

(1)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص96.وحسام أحمد قاسم:تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف،دار الآفاق العربية، القاهرة،ط1: 1428هـ/2007م،ص190.

(2)ينظر:مجموعة من الأساتذة: الأسلوب الصحيح في البلاغة و العروض،منشورات مكتبة الحياة،بيروت،(د.ط)،1964م،ص19.

1-2-أضرب الخبر:

أ-الخبر الابتدائي:ما لم يشتمل على أي مؤكد،ويكون للسامع الذي لم ينشأ لديه الحكم.

ب-الخبر الطلبي: ويطلق للشخص المتردد في تصديق الخبر و يكون بمؤكد واحد.

ج-الخبر الإنكاري:يوجه لمن ينكر الخبر و تنطوي عنه عدة مؤكـــدات وهذا لا يكون إلا حسب درجـات الإنكـــار مصـداقا لقولـــه تعـــالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ (الطلاق/12).

فالبحراني يرى أن تقديم الاسم في مثل قولنا: زيد فعل،دليل واضح على أن المقصود هو الفاعل وهذا يكون لسببين أولهما: من حيث تخصيص الفعل به نحو قولنا:أنا فعلت ذلك الأمر. ويراد منه الانفراد به، أما ثانيهما:فيكمن في أن تقديم الفاعل مؤكد من حيث إثبات ذلك الفعل،مع تجنب الشك مثل: فلان يعطي الجزيل، وهنا لا نريد منه الحصر، بل يستلزم ذلك أن المخاطب يتحقق لديه أن (دأبه إعطاء الجزيل و بيانه): فالاسم لا يتجرد من العوامل إلا إذا تم الحديث عن شيء يراد إسناده إليه فلو تم الإسناد إليه فاءن النفس تقبله[1] .

أما تقديم الفعل عند البحراني فيستلزم ذكره كونه الأولى بذلك وهذا ما يتجسد في قوله تعـــالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ٢٣﴾ (الإسراء/23). والمعنى من الآية الكريمة هو الدعوة إلى ذكر القضاء وقد ورد هنا ليدل بذلك على الأمر.كذلك هو الأمر بالنسبة للمنفي شبيه إلى حد ما بحكم المثبت و عليه نأخذ المثال الآتي للتوضيح أكثر:(أنت لا تحسن هذا الفعل) أشد لنفي الإحسان عنه من قولك:(لا تحسن أنت هذا الفعل)، وعليه يصبح الحديث الوارد في الأول مع من هو أكثر إعجابا بنفسه،و أعرض من كونه يحسن،فلو قمنا بوضع (أنت) بعد (تحسن) تصبح (لا تحسن أنت) فتفقد تلك القوة التي كانت موجودة سابقا[2] .

(1)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص 96.
(2)ينظر: المرجع نفسه ،ص96-97.

1-3-الأساليب الإنشائية الطلبية:

1-الاستفهام:

أورد البحراني أسلوب الاستفهام عند حديثه عن التقديم والتأخير،إلا أنه لم يقم بتعريفه فالجملة الإنشائية ما دلت على طلب استدعى أمرا مطلوبا لم يحصل وقت طلبه[1]. ومن بين الأساليب الإنشائية الطلبية نجد الاستفهام الذي يعرف بأنه:" طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، أو هو طلب حصول صورة الشيء المستفهم عنه في ذهن المستفهم باءحدى أدوات الاستفهام".[2] والاستفهام يراد به الاستفسار عن أمر لم يكن المستفهم على علم به سابقا.وقد ركز البحراني عند دراسته للاستفهام على الهمزة دون سواها من الأدوات وهذا نتيجة كثرة تداولها،ومن الأمثلة التي طرحها البحراني في كتابه أصول البلاغة نجد قوله تعالى:﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الإسراء /40)،

وغالبا ما تستعمل الهمزة في موضعين: لأجل التصديق و التصور،فالأول يتجسد في مدى معرفة الحكم بين المسند و المسند إليه سواء من حيث الثبوت أو النفي،أما الثاني فيتمثل في معرفة أمر آخر غير عملية النفي و الإثبات.[3]

وقبل التفصيل في كيفية خروج دلالة الاستفهام إلى دلالات أخرى مستلزمة ينبغي أولا تقديم تعميم يوضح عملية الانتقال من دلالة إلى دلالة أخرى تستخلص من السياق وهو على الشكل الآتي:[4]

تعميم: {تنتقل الجملة من الدلالة على معناها الأصلي (س) إلى معنى آخر (ص) بالانتقال، خرقا من شروط إجراء (س) إلى ما يقابله من شروط إجراء (ص)}.

يظهر من الآية الكريمة من سورة الإسراء أن (س)يمثل الدلالة الحرفية أو الأصلية لمعنى الجملة والذي يتمثل في أسلوب الاستفهام،بيد أن هذا الاستفهام قد يخرج عن دلالته الموضوعة له إلى دلالة أخرى مستلزمة وضمنية وهي الإنكار، وهذا بالخروج عن أحد الشروط الدلالية لإجراء الاستفهام على أصله

(1) ينظر:القزويني الخطيب:التلخيص في وجوه البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمان البرقاوي، دار الفكر (ع) القاهرة ، ط1، 1904 م ،ص151.
(2)عبد العاطي غريب علام :دراسات في البلاغة العربية،منشورات جامعة قاز يونس بنغازي،ط:1، 1997م،ص43.
(3ينظر:المرجع نفسه،ص44.والقزويني الخطيب:التلخيص في وجوه البلاغة،ص153.
(4)أحمد المتوكل :دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،ص102.

إلى ما يقابلها من إجراء شروط الإنكار. فالاستفهام الذي وضع لغرض الإنكار إنما يكون من أجل تنبيه المخاطب للعدول عن رأيه،أو يكون لغرض ادعاء فعل شيء ليس باستطاعته فلو تم ثبوت دعوة طلب منه فعلها مما يلزم فضحه والى غير ذلك من الأغراض.فقد رد الله سبحانه وتعالى على المشركين وكذب قولهم إن الملائكة بنات الله،وأن الملائكة كونهم عباد الرحمن إناثا،ففي هذا القول جهل عظيم ،مما يستلزم أن الله اصطفى البنين واختصهم باعتبارهم الصفوة ،وانتقى البنات وفضلهم على البنين،الأمر الذي جعل الله تعالى يكذبهم في كلا الأمرين.[1]

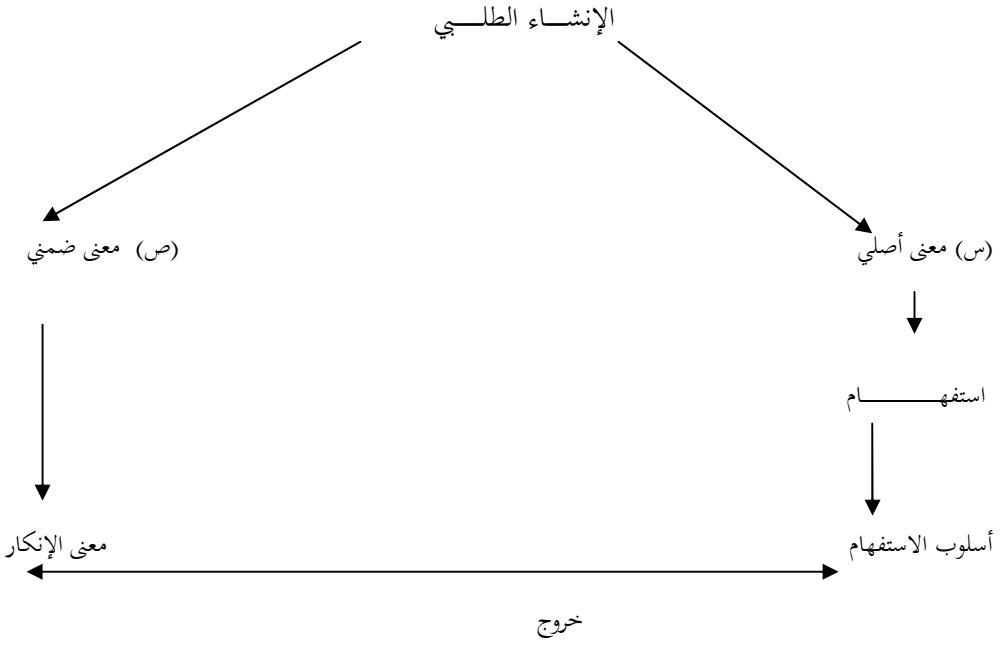

(1)ينظر:ابن كثير :مختصر تفسير ابن كثير،ص378.وعبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز،قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 5 ، 2004 م ،ص78.وعبد العاطي غريب علام :دراسات في البلاغة العربية،ص53.

كما يخرج الاستفهام أيضا إلى دلالة أخرى وهي التقرير وهذا ما يتضح من خلال قوله تعالى:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الكهف/ 71-72)وتكمن أهمية الاستفهام التقريري في جعل المخاطب يعترف بشيء ثبت لديه،كما أنه يتميز عن غيره بمقاصد،بالإضافة إلى استخراج الدلالات المتداخلة مهما كان الخطاب مع ضرورة ربطها بالإقناع. أما من الناحية البيانية فالاستفهام الذي يخرج للتقرير يعد بمثابة الإلزام للسامع بالحكم،مع اعترافه بما يريده المتكلم.[1] يظهر من الآية أن الله عز وجل يخبر عن سيدنا موسى (عليه السلام) مع صاحبه الخضر حيث انطلقا بعدما اتفقا واصطحبا،بشرط عدم السؤال عن أي شيء أنكره حتى يبدأ هو دون إجباره على الكلام،فركبوا السفينة و تعرفوا على الخضر وحملوهم دون أجرة لأجل الخضر، وبمجرد استقلال السفينة في البحر ودخولها اللجة،جاء الخضر وخرقها ،وقام وأخذ منها لوحا،الأمر الذي دعا موسى بالتدخل، وقال حينها منكرا: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾واللام وضعت هنا للعقاب و ليس الغرض التعليل.

أما قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾وهنا ورد بمعنى المنكر،فذكره الخضر بالشرط من خلال قوله:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

الكهف/72.وهنا تقرير أول لحقيقة موجودة في الذات الإنسانية أمام لغز الحياة و الأسباب البعيدة ،وهذا واضح من خلال الإشارة التي يرددها الخضر كلما رأى استنكار سيدنا موسى (عليه السلام) للأفعال. ويتجسد الخروج هنا في الأفعال التي تنقل من ظاهرها المتعارف عليه لدى البشرية.

2- النّداء: [2]

يعد النداء من الأساليب الطلبية المهمة التي تطرق لها البحراني إلا أن دراسته لهذا الأسلوب لم يعطها حقها من البحث،بل اكتفى بمثال واحد على سبيل التمثيل فقط،إلا أن ذلك لا يمنعنا من تبيان مدى أهميته في الدرس البلاغي و التداولي،مع إبراز كيفية خروجه عن المعنى الذي وضع له،و النداء كما هو واضح دلالة افصاحية إلا أنها قد تتعدى ذلك إلى التلميح ومن بين الدلالات التي يخرج

(1)ينظر:محمد مختار الشيباني :بلاغة الاستفهام التقريري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية،كنوز الحكمة ، الجزائر،(د.ط)،1432هـ/2011م ص57-63.

(2)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص90.وحسام أحمد قاسم:تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص190.

إليها أسلوب النّداء نذكر: التعجّب ،أو للتأكيد، أو للتعظيم وغيرها من الدلالات المترتبة عنه.والمثال الذي نحن بصدد تقديمه سيوضح عملية الخروج التي تنجر عن تخلف أحد شروط إجراء المعنى الأصلي لأسلوب النّداء، والتي تخرج بدورها إلى معان أخرى يمكن التعرف عليها بواسطة السياق و أمور أخرى مساعدة على ذلك، و المثال على الشكل الآتي:" فيا خجل المقصّرين من التوبيخ في محفل القيامة ويا حسرة الظالمين إذا عاينوا أهل السلامة ! "

يظهر من خلال المثال أن صيغته الحرفية الظاهرة دالة على النّداء، ولكن مع مراعاة العوامل الخارجية المحيطة بهذا الخطـــاب ندرك أنه خرج عن معناه الحقيقي (أسلوب النداء) إلى معنى وغرض آخر يمكن استخلاصه من المقام الذي وضع فيه، وهو في هذا الصدد يتعجب من كل شخص قام بالتقصير في حق نفسه و غيره،من أن يوبخ نفسه و يحاسبها على أخطائها قبل أن يلقى الله(عز وجل) فتوبيخه أشد و أعظم يوم القيامة،كما انه يتحسر و يذم كل ظالم قام بالاعتداء على غيره و كأنه هنا يضع الظالم في موضع مقارنة بينه و بين من جعلوا أنفسهم في موضع أهل السلامة.

نلمح في هذا المثال إلى أن الدلالات المترتبة عن النّداء كثيرة فقد خرجت إلى التعجب،و الدعاء للمقصرين في حق أنفسهم و غيرهم،وتوبيخ نتيجة الأفعال التي سيلقى عقابها يوم القيامة،وتحسر وذم للظالمين الذين يؤذون من سلموا من عذاب الله.

(الفصاحة الخاصة بالنظم و التأليف، ففي هذا الموضع يتفق مع ابن سنان الخفاجي(ت) و الرازي).

2-المبحث الثاني : علم البيان

جعل البحراني علم البيان مجالا واسعا وبداية مهمة لدراسته،الذي يلقي بجل اهتمامه على الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد سواء تعلق ذلك بالمجاز أو الكناية أوغيرها .[1]

فالمتأمل في أصول البلاغة للبحراني يجده لم يتطرق للبيان كمفهوم ،بل أشار إلى ذلك في (شرح نهج البلاغة) من خلال بعض العبارات التي وردت فيه عند تعقيبه على كلام الإمام علي (كرم الله وجهه) في وصف صفة الجنة حيث يقول : " فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لغرقت نفسك من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها، و لذاتها، وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاف أشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها" .[2]

(1)ينظر :باديس لهو يمل : مظاهر التداولية في مفتاح العلوم،ص196.
(2)محمد عبده:تحقيق تميم البحراني ،شرح نهج البلاغة، ص3/313.

يرى البحراني أنه من خلال معرفة عملية التأويل و القواعد التي يمكن اتخاذها للوصول إلى المراد،مع تبيان حقيقة الألفاظ التي وردت عند العرب سواء أكان ذلك من مجاز، أو تشبيه ،أو تمثيل، وغيرها من قواعد علم البيان،مع وجود صلة لها بالعلم الإلهي، ومن هذا يستطيع وضع هذه الجنة المحسوسة بمثابة السلم الذي نعقل من خلاله هذه الجنة المعقولة من متاع وغيره،كتأويل أشجار الجنة مثلا استعارة عن الملائكة .[1]

كما أخذت علوم البلاغة الثلاثة : معاني، وبيان ،وبديع، نصيبها من الدراسة لدى البحراني لكنه لم يقسمها مثلما فعل ذلك السكاكي في مفتاح العلوم، بل خطى لنفسه منهجا يسير عليه وهو هنا يسير على نهج الرازي ،كما تأثر بالسكاكي في تناوله للصور البيانية،و المسائل البديعية، وغيرها وعبد القاهر الجرجاني في حديثه عن التقديم والتأخير.

وضح البحراني أن المعنى المستلزم يكون على مستوى الدلالة العقلية و الوضعية الصرفة مجتمعتين معا والسبب في ذلك أن كلا الدلالتين يحمل معنيين: الأول يحمل معنى مباشر ،وقد أطلق عليه البحراني دلالة الوضع والعقل معا .فالدلالة الوضعية الصرفة تكمن في دلالة اللفظ على تمام مسماه وهذا ما جعل من البحراني يطلق عليه بالمطابقة.

أما الثاني فيمكن أن نستنتجه من عملية التخاطب التي تخرج بدورها إلى معان أخرى تتطلب الدلالة الشركة المستلزمة، وهذا من خلال السياق الذي تعلق فيه المعنى الأول بالمعنى الثاني في علاقة يستنبطها العقل، وعليه سميت المعاني الثواني بالدلالة الشركة.فالدلالة الوضعية كما هو معلوم لا تتطلب إلا المعنى المباشر الظاهر.[2] مثل قولنا :جسمها يشبه الحرير، فالملاحظ لهذا المثال يرى أنه يحمل معنى ضيق من حيث الدلالة إذا تمت مقارنته بالدلالة المستلزمة من مثل قولنا جسمها كالحرير، وعليه يكون في التشبيه إلزام للجسم بالحرير الذي يستلزم بالضرورة النعومة وعليه يصل المتلقي عن طريق الاستدلال إلى معنى أخير وهو أن جسمها ناعم وحرير.

وضع البحراني معيار للاستلزام وهذا من أجل تحديد نسبة الخرق الدلالي للمعنى ، وكيفية انتقاله من الدلالة الوضعية الصرفة إلى الدلالة الشركة ، وقد حددها البحراني على الشكل الآتي: الانتقال من الحقيقة ←— إلى اللازم وهذا من حيث المجاز، ومن اللازم —→إلى الحقيقة من جهة الكناية.

(1)محمد عبده:شرح نهج البلاغة، ص3/313.
(2)ينظر : البحراني :أصول البلاغة،ص30.وباديس لهويمل :مظاهر التداولية في مفتاح العلوم،ص203.

نستنتج من هذا أن البحراني استطاع أن يبرز لنا بعض المحاور التي تهتم بها التداولية والتي من أبرزها الاستلزام الحواري والعناية بالسياق مع مراعاة الظروف والملابسات التي يجري فيها الحدث الكلامي.[1]

أشرنا سابقا إلى أن البحراني تطرق للبلاغة بعلومها الثلاثة وهذا واضح بصورة جلية في مقدمته المعروفة بأصول البلاغة، إلا أننا سنسلط الضوء على علم البيان وهو عند البحراني ينقسم إلى أربعة أصول وهي : المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، لكنه يعود في ذلك ويقول إذا ضمت الاستعارة إلى المجاز المرسل للاشتراك المطلق في المجاز صارت بذلك ثلاثة.

يعد التشبيه أصلا من أصول علم البيان وهو مهم جدا عند البحراني الذي جعله في المرتبة الثالثة، وهو هنا يتفق مع ما ذهب إليه السكاكي ، لكن من حيث الوسيلة نلمح فيه اختلافا.

1-1-في مجال الحقيقة والمجاز :

ورد المجاز كأصل من أصول علم البلاغة مقرونا بالحقيقة ،هذه الأخيرة التي ذكرها البحراني في كتابه من خلال قوله هي: " هي الكلمة التي أفيد بها ما وضعت له (في) أصل الاصطلاح المتخاطب به،و تشمل اللغوية والعرفية والشرعية".[2]. نفهم من هذا أن المتكلم أثناء استعماله للكلمة يحاول المطابقة بين المعنى المتواضع عليه وبين المعنى الذي يقصده دون الاستناد إلى أشياء أخرى غير ما تم سماعه ودون الكشف عن مضمون القول.[3]

في مقابل ذلك نجد أن المجاز عند البحراني هو "ما أفيد به معنى غير ما اصطلح عليه وتشمل اللغوي والعرفي والشرعي،ويشترط فيه النقل، وإلا لبقي حقيقة.[4]

فالمجاز في هذا الموضع يقصد به الكلمة التي تحمل بين طياتها معنى من المعاني على غرار ما وضع له، كما يجعل من النقل شرطا أساسيا، وإلا فانه حقيقة، ولكن إذا كانت العلاقة غير المشابهة ، مع توفر القرينة المانعة عد ذلك مجازا مرسلا.[5] فلو سلمنا بالقول أن المجاز اللغوي يقع على مستوى الكلمة المفردة فهذا يستلزم بالضرورة إدراك

(1)ينظر : البحراني :أصول البلاغةص30.
(2)ينظر : البحراني،أصول البلاغة،ص30.
(3)ينظر:عبد المنعم السيد الشحات رزق :المسائل البلاغية بين ميثم البحراني و ابن سنان الخفاجي،رسالة ماجستير مخطوطة ،الأزهر،كلية اللغة العربية بالمنصورة1421هـ/2000م ص 208-221
(4)البحراني:أصول البلاغة،ص57.
(5)ينظر:المصدر السابق،ص31.

مقاصد المتكلم للوصول للمعنى المستلزم وهذا لا يتحقق إلا من خلال عملية النقل (الاستبدال)، فلو أخذنا على سبيل المثال كلمة (أسد) في قولنا : حضر الأسد ،تنقل في سياق آخر مع توفر قرينة مانعة للمعنى الحرفي الصريح بكلمة أخرى (شجاع)، فالاقتصار على ظاهر القول يمنع الوصول إلى المقاصد في هذا المقام ، ولكي يتم بلوغ المقاصد وجب الاعتماد على المعنى الحرفي للقول مع ملاحظة المعنيين وما يجمع بينهما من صلة ، فلو قلنا إن المتلقي استطاع فهم المتكلم فاءن الوظيفة الأساسية للتواصل ستتحقق.

نستنتج من التعريف الذي أورده البحراني أن القرينة المانعة للمعنى الحقيقي تصرف الذهن للمعنى المجازي.

وضح البحراني سبب تقديم المجاز على الكناية وهذا من مبدأ أن المجاز ينتقل من الحقيقة إلى اللازم ، في حين أن الكناية يتم الانتقال فيها من اللازم إلى الحقيقة،ويكمن الفرق بينها وبين المجاز في أن الكناية معناها الأصلي هو المقصود، وإنما يفيد معنى آخر على سبيل الالتزام مثل : كونه جوادا،وهذا لكثرة رماد القدر،على غرار المجاز الذي نرى أن معناه الأصلي هو المقصود .[1]

1-2- ولتوضيح ما سبق نقدم المثال التطبيقي الآتي :[2]

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ (الزلزلة/2).

يلاحظ أن كلمة (الإخراج) في هذا الموضع خرجت دلالتها عن المعنى الحرفي الذي وضعت له ،إلى معنى آخر مجازي يفهم قصده من خلال السياق الذي ورد فيه،فلو تم إسناد الإخراج للأرض فعلا لما كان هناك استلزام، ولكن المراد من هذا القول هو (الله سبحانه وتعالى) الذي جعل الأرض سببا في إخراج ما بداخلها من أثقال وكوامن.

فالأرض لا تخرج ما بداخلها من الأثقال، ولكن إذا شاء الله وحدثت فيها حركة فاءنها ستخرج لا محالة ما في جوفها من أموات أو دفائن، فالأموات كما هو معلوم تخرجهم الأرض من النفخة الثانية وهذا على سبيل المجاز، فلو أسندنا الإخراج للأرض كان هذا من جهة المجاز(قوة إنجازية حرفية)، أما

(1)ينظر: البحراني:أصول البلاغة،ص30-74-75.
(2)ينظر:المصدر السابق،ص57-58.

فيما يخص (القوة الإنجازية المستلزمة) فتكمن في أن الإخراج حقيقة لله تعالى وهذا من خلال القدرة التي لا ينافسه أحد مثله في الخلق.[1]

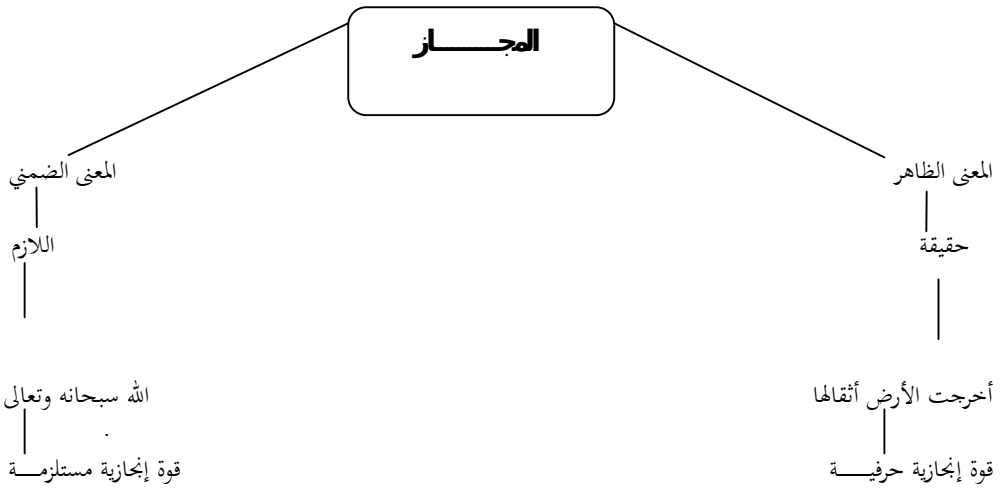

و المجاز عند البحراني يشمل عدة أصناف والمتداول منها عشرة [2]:

ا- إطلاق اسم (السبب على المسبب) حصرها في أربعة أسباب هي:الفاعلي،الغائي،الصوري،القابلي.

1-الفاعلي: من قبيل إطلاق لفظ النظر على الرؤية،وقد يقصد بالنظر التدبر أيضا كأن نقول: نظرت في الأمر: بمعنى تفكرت فيه وتدبرته بالقلب.

2-الغائي:نحو تسمية العنب خمرا مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ (يوسف/36).

3-الصوري:نحو إطلاق القوة على اليد مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴿١٠﴾ ﴾ (الفتح/10).

4-القابلي:مثل قول: سال الوادي، وهنا نلاحظ تداخل بين المجاز العقلي و المرسل إذ لم يقم بالفصل بينهما فقول: سال الوادي هنا مجاز عقلي،وذلك لأن المجاز في هذا الموضع يكمن في إسناد سال للوادي، وعليه فالمجاز يكون لإسناد و ليس للكلمة في ذاتها.

(1)ينظر : البحراني،أصول البلاغة،ص58-59.
(2)ينظر : المرجع نفسه ،ص58-59.

ب-إطلاق اسم المسبب على السبب كأن نطلق لفظ المرض الشديد على الموت.

ج-إطلاق اسم الشيء على مشابهه كأن نطلق لفظ الحمار ونريد بها الشخص البليد.

د-إطلاق لفظ الضد على الضد كأن نطلق لفظ العقاب جزاء.

هـ- إطلاق لفظ الكل على الجزء كأن نطلق لفظ القرآن على بعضه.

و-العكس: ويقصد به أن نطلق الجزء ونريد به الكل من قبيل إطلاق لفظ الأسود على الزنجي وهذا يعود بدوره لسواد جلده ، وهذه العلاقة الجزئية احتمال لبياض شعره.وعليه يمكن القول إن هذا السواد ليس كلي بالنسبة للزنجي.

ز-إطلاق لفظ ما بالفعل على ما بالقوة: مثل أن نطلق لفظ المسكر على الخمر.

ح-المجاورة على المجاورة: مثل أن نطلق لفظ الراوية على المزادة* عن الجمل الذي يستقى عليه.

ط- إطلاق لفظ الحقيقة العرفية من قبيل إطلاق لفظ الدابة للفرس على الحمار عرفا.

ي- إطلاق اسم المتعلق وهذا من قبيل إطلاق لفظ القدرة على المقدور .

لا يتوقف المجاز المرسل عند هذا الحد من الأصناف بل يتعداه إلى أصناف أخرى ولكن ما تم ذكره هو المتعارف عليه.

1-3-نماذج تطبيقية :-رأيت أسدا في يده سيف.[1]

فجملة (السيف في يده) معنى أولي ظاهر من حيث صيغته الحرفية وهو حقيقة من منظور البحراني، إلا أن هذا المعنى يستلزم بالضرورة معنى آخر ثان يفهم من خلال المقام وهو معنى ضمني ألا وهو إرادة الإنسان وهذا ما قدمه البحراني تحت مصطلح اللازم .فالأسد كما هو معلوم حيوان وهذا الأخير ليس باستطاعته حمل السيف و إنما شجاعته وقوته هي التي تحمله على الصمود في وجه الأعداء ،فالإنسان لا يمكنه أن يكون أسدا فقد حدث خرق في كلمة (أسد) هذا ما استلزم الإنسان وإرادته التي يتغلب من خلالها على أعداءه .وعليه يمكن القول أن المعنى انتقل من الذهن

(1) المزادة : عبارة عن وعاء من الجلد يحمل به الماء .البحراني : أصول البلاغة ،ص59.

بوجود القرينة المقالية الواقعة في جملة (السيف في يده) إلى معنى يفهم من الجملة وهو أن الإنسان أسد في الشجاعة و الصمود وقوة القلب و شدة البطش عند تعرضه للمخاطر.[1]

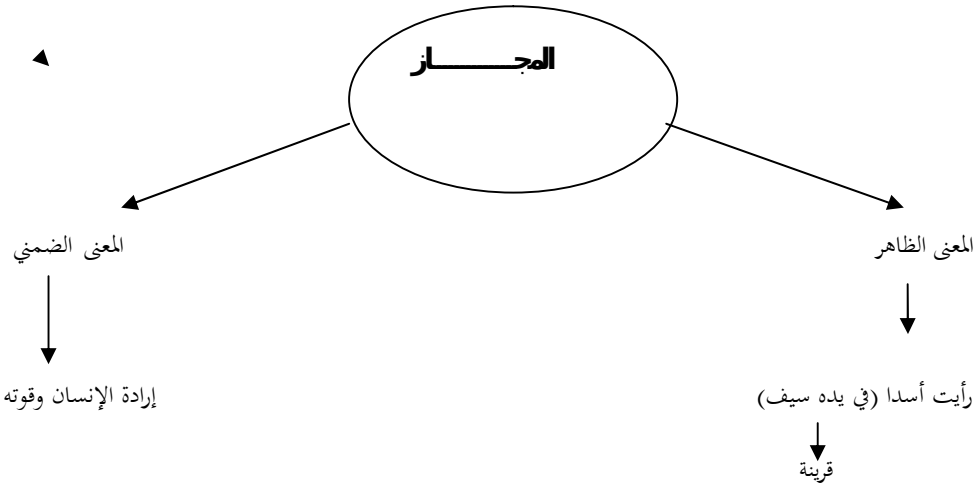

2-1-في مجال التشبيه :

أدرج البحراني التشبيه في كتابه لكنه لم يقم بتعريفه كونه أصل من أصول علم البيان ،بل تحدث عن بعض أركانه مثل: المشبه والمشبه به ،فقد ذكره في الفصاحة العائدة إلى المفردات، وهو هنا يشبه ما ذهب إليه سابقيه، كما أشار إلى أركان التشبيه: المشبه والمشبه به مع ذكر أغراضهما.فقد تعددت التعريفات إلا أننا سنكتفي بما قدمه السكاكي وبعض الدارسين المحدثين، فهو يرى أن التشبيه يتألف من طرفين وهما المشبه والمشبه به، مع وجود اشتراك بينهما من جهة و اختلاف من جهة أخرى، كأن يشتركا من حيث الحقيقة و يختلفا من حيث الصفة أو العكس.[2]و للتوضيح نقدم مثالا على ذلك : حجة كالشمس .كأن نثبت للحجة حكم الوضوح والجلاء وذلك من حيث الفصل بين الخير والشر.

كما ورد لدى الدارسين المحدثين"علي الجارم ومصطفى أمين" بعده بيان عن أشياء اشتركت في عدة صفات من خلال أداة تمثلت في الكاف سواء أكان ذلك عن طريق الملاحظة أو اللفظ، مع ذكر أركان التشبيه الأربعة:المشبه ،والمشبه به ،وأداة التشبيه ،ووجه الشبه .[3]

(1) ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص60.
(2)ينظر:السكاكي: مفتاح العلوم ،تحقيق: عبد الحميد الهنداوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 2000م ،ص 439 .
(3)ينظر:علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة البيان و المعاني و البديع،دار المعارف،القاهرة،(د.ط)،1999م،ص410.

كما يعتمد على التشبيه بغية انجاز فعل لغوي غير مباشر وهذا أمر واضح من خلال جمع كل المميزات الدلالية لكل مفردة في المعجم الذهني، مع مقابلة كل واحدة بنظيرتها ، ووضع كل المميزات ليعود بعد ذلك للتشابه و التماثل بين ما هو أصل وما يندرج عنه وهو الفرع، مع إسقاط بعض الصفات الموجودة بالأصل على ما هو دونه بشرط أن يكون الشيء الجامع بينهما متفق عليه مع وجود الكفاءة التداولية للمرسل من خلال عمليات ذهنية سريعة جدا يقوم بها ؛ مع جمع السمات الدالة على الطرف الأول للتشبيه، كما يتم حشد السمات الزائدة و المتميزة التي ترد في سياق معين.[1]

2-2-نموذج تطبيقي:[2]

أ- فالمشبه قد يكون معقـــولا، في حين نجد المشبه به محسوسا : وهذا ينطبق على كلام علي (كرم الله وجهه) من خلال خطبة قالها في مروان بن الحكم بن أبي العاصي الذي تولى الحكم بعد معاوية بن يزيد سنة64هـ، ومات في أول رمضان سنة 65هـ. حيث يقول : (أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه).

يرى البحراني أن الإمرة كونها تمثل شيئا معقولا (المشبه) شبيهة إلى حد ما لعقة الكلب أنفه من جهة السرعة وهو هنا شيء محسوس وهو يمثل (المشبه به).

فالمعلوم أن اللعقة تمثل حركة اللسان وهي ليست أمرا محسوسا ،ولكن المحسوس هنا هو اللسان اللاعق و الأنف اللاعق.وعليه فهو من تشبيه المعقول بالمعقول. والصواب ما قاله البحراني في هذا الصدد:أن قصر مدة خلافة مروان بن الحكم أثناء توليه الحكم في مدينة البصرة والتي تمثل قوة إنجازية مستلزمة تم الحصول عليها بفضل عملية التشابه والاختلاف ، بلعقة الكلب أنفه كونها تمثل قوة إنجازية حرفية، وهذه الفروقات لا يمكن أن تكون بصفة عامة ، بل التداخل بين الشبه و الفرق حتى نصل إلى نتيجة مفادها تجاوز الدلالة الوضعية الصرفة. ويكمن وجه الشبه في هذا المثال في القصر، حيث بلغت مدة إمرته أربعة أشهر و عشرا، و قد ذكر البحراني أن حصره له بلعقة الكلب في هذا المقام يستلزم الذم الذي لحقه من جراء قصر المدة فهو لم يعمر طويلا في خلافته.

(1)ينظر :علي محمود حجي الصراف:في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي،مكتبة الآداب،القاهرة، ط1، 1431هـ/ 2010م،ص149.
(2)ينظر :البحراني:أصول البلاغة،ص61-62.

ب- أو بالعكس :

2- وفي هذا الصدد ندرج المثال الآتي في قول الشاعر:[1] (البحر البسيط)

كأن ابيضاض البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء بعد وقوع

يفهم من هذا البيت أن البدر عند خروجه من تحت الغيم بعد مرور فترة طويلة من الزمن يشبه الإنسان الذي يخرج من بعد وقوعه في الشدة و البأساء ، ومما يلاحظ على هذا التشبيه أنه تشبيه مقلوب الغرض منه تبيان كيفية النجاة من البأساء من كيفية انكشاف البدر من تحت الغيوم.وهذا يستلزم في الأخير الانحسار، فلفظة البدر في هذا المقام خرجت عن دلالتها الوضعية الصرفة إلى دلالة أخرى تفهم من السياق الذي وضعت فيه، وعليه يمكن أن نقول أن البدر يمثل قوة حرفية التي تخرج عن طريق الخروج الدلالي إلى قوة مستلزمة تدرك من خلال السياق الذي وضعت من أجله.

(1)ينظر:البحراني :أصول البلاغة،ص62،وعبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة،قرأه و علق عليه:محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، (د.ط)،(د.ت) ،ص 212.وعبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 5 ،.و القزويني الخطيب:التلخيص في علوم البلاغة،ضبطه وشرحه:عبد الرحمن البرقاوي،دار الفكر العربي،القاهرة، ط 1، 1904م ،ص246-247.

وللتوضيح أكثر نقدم المخطط الآتي:

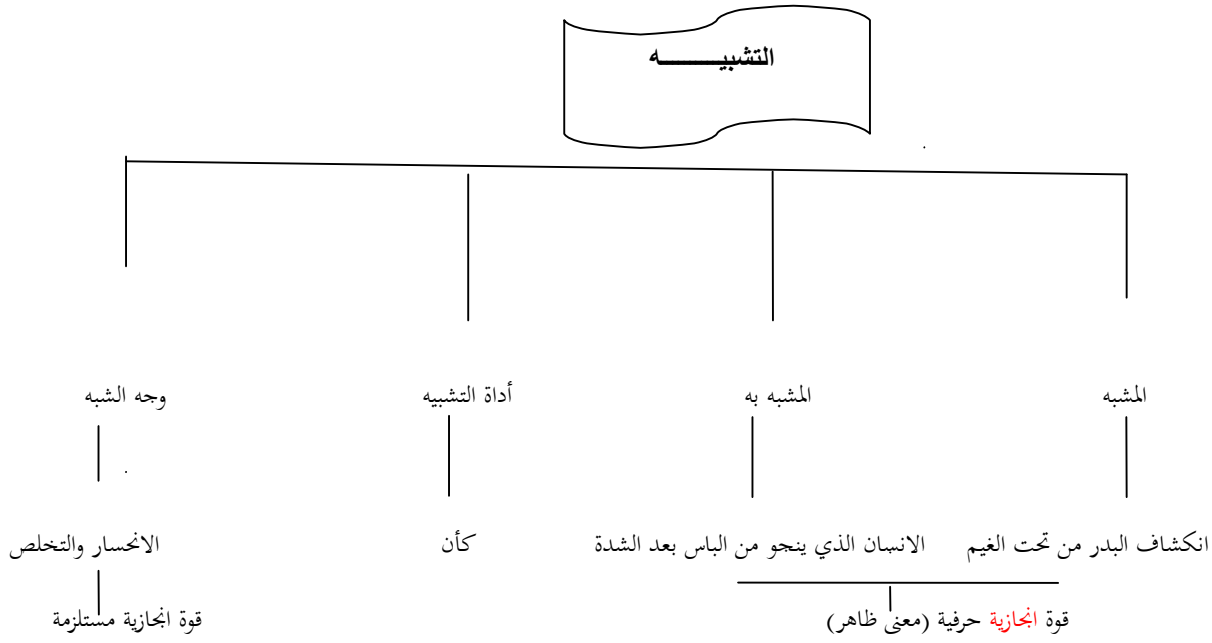

2-3-الغرض من التشبيه :[1]

ويكمن الغرض من التشبيه لدى البحراني في إلحاق الناقص بالزائد وهذا من أجل المبالغة في إثبات الحكم للناقص من قبيل : تشبيه شيء أسود بخافية الغراب.وقد يتعدى ذلك إلى التخييل الذي يجعل من الشيء الناقص شيئا آخر زائد عليه، وذلك عن طريق تعظيم الأمر الناقص حتى يصبح فيما بعد أصلا للشيء الكامل فيما يتعلق بذلك الأمر بالتحديد.

3- و للتوضيح نقدم المثال اللآتي:[2] (البحر الكامل)

وبدا الصباح كأن غرته* وجه الخليفة حين يمتدح

وضح البحراني أن هذا البيت من التشبيه المقلوب الذي لا نلمح فيه أي فرق بين التشبيه ودلالته وهذا راجع لاشتراك الطرفين في أصل المعنى،لكن يكمن الاختلاف في زيادة المعنى وبروزه.كما تظهر الفائدة من تشبيه المقلوب في نقل الزيادة التي تتوفر للمشبه به نحو المشبه بهدف المبالغة. والمقصود من

(1)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص63.
(2)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص64.وعبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة،ص 258،ومحمد الجرجاني:الإشارات والتنبيهات،تحقيق:عبد القادر حسين،مكتبة الآداب،القاهرة،(د.ط)،1418هـ/1998م،ص171.والقزويني الخطيب:الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،ص244-245.
*الغرة:وتعني البياض الموجود بالجبهة.

البيت إيهام أن وجه الخليفة فيه ضياء و وضوح أكثر من وضوح الصباح وإشراقه.فهنا يبين أن وجه الخليفة أكمل من الصباح وكأنه يرى أن نور الصباح لا يصل إلى نور وجه الخليفة وهذا لعظمة شأنه عند حاشيته و الارتياح له والإصغاء إليه.فوجه الخليفة(مشبه به)هنا أصبح أكثر شهرة من حيث النور و الإشراق، وهو المعنى الذي تم استلزامه من مجموع دلالات كثيرة ،من هذا أصبح الصباح (المشبه)يشبه بالخليفة.كما أن الغرض قد يستلزم أمرا آخر مثل :الجمع بين الشيئين في عموم الصورة من قبيل تشبيه الصباح بغرة الفرس من حيث ظهور بعض البياض في سواد كثير كما يمكن عكس ذلك.

كما وضح البحراني الفرق بين التشبيه و التمثيل على غرار ابن سنان الخفاجي الذي لا يرى أي داع للتفريق، فالتمثيل بالنسبة للبحراني "عبارة عن تشبيه منتزع من اجتماع أمور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل ".[1]وهو في هذا التعريف يرى أن وجه الشبه عام.وهي نفس الفكرة التي قدمها الخطيب القزويني في قوله: "التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور".[2]

3-1-في مجال الاستعارة:

تطرق البحراني للاستعارة من باب المجاز المرسل وذلك للاشتراك المطلق للمجاز مما جعلها أصلا ثالثا من علم البيان،فلو كانت العلاقة مشابهة مع توفر القرينة المانعة مع إرادة المعنى الذي وضعت له فهي هنا استعارة.وقد قدمها البحراني بقوله: "إنها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في أصل المواضعة التي بها التخاطب ؛لأجل المبالغة في التشبيه".[3]

المراد أن الكلمة إذا لم تستعمل في المكان الذي وضعت من أجله في الأصل بغية التحاور بين الآخرين، مع عدم ملاحظة المعنى الأول ،وكانت العلاقة هنا مشابهة،ستتحقق الاستعارة.

فلو أمعنا النظر لوجدنا أن البحراني لم يشر للنقل في الاستعارة مثلما حدث معه في المجاز،كذلك نلمح من تعريفه للاستعارة ورود عبارة مشابهة لما قدمه الجرجاني وهي "لأجل المبالغة في التشبيه".هذا ما دعا البحراني للقول إن من شروط حسن الاستعارة المبالغة في التشبيه مع ضرورة الإيجاز. وتطبيق الاستعارة يعد نموذج من حيث الاستعمال اللغوي،الذي نستشفه من خلال المعنى

(1) البحراني :أصول البلاغة،ص64.
(2)القزويني الخطيب:الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،ص 4/90.
(3)البحراني :أصول البلاغة،ص66.

المراد المضمر خلف الدلالة المنجزة بصيغتها الحرفية.[1] وهذا المعنى لا يتأتى بطريقة مباشرة ،وعليه يمكن القول إن الاستعارة بمثابة الأداة التي تستعمل في انجاز أفعال غير مباشرة . وتكمن الرؤية التداولية للاستعارة في عدم الانفصال عن ربط عملية تأويلها بالقواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون لدى جرايس،بحيث لا تعدو أن تكون استغلالا من صنف خاص لمبدأ أو أكثر من المبادئ التي أطرها لنظريته المعروفة بالاستلزام الحواري وهذا يكون من جانبين هما : [2]

-العمل على تحديد السياق الاتصالي للاستعارة،الذي يستوجب إقصاء التفسير الحرفي وغير الحرفي،مع ضرورة الإبقاء على التفسير الاستعاري.

-العمل على انتقاء التفسير الأنسب من بين مجموع التفسيرات الواردة، التي تضع المتلقي انثناء العملية التواصلية يختار تفسير ملائم للمبادئ .

3-2- الهدف من الاستعارة:

ويكمن الهدف من الاستعارة لدى البحراني في أمرين: [3]

-مراعاة جانب المستعار،مع الاهتمام بما يتطلبه المقام، وهذا ما يتضح في قول الشاعر: [4](البحر الطويل)

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا و ناء بكلكل

شبه الإنسان (المستعار) وهو يمثل معنى ظاهر يبرز من الصيغة الحرفية للبيت، بالليل (المستعار له) وهو المعنى الخفي الذي تم استنتاجه من صياغ الكلام،حيث تم استعارة كل الدلالات الاستعارية الممكنة التي لها علاقة بالإنسان مثل:التمطي،والصلب،والأرداف،الأعجاز حيث تمت استعارة الصلب لليل ولطوله التمطي حتى يناسب الصلب واستعار لأول الليل الكلكل ولأخره الأعجاز.والمقصود من هذا أن الليل لما ازداد طوله ،ازداد بذلك امتداده وأبعد أوله عن تاليه،ويكمن المعنى المستلزم في أن الليل يدل على المعاناة و الشدائد و الأحزان و السهر الناتج عن الآلام ، كذلك الأمر بالنسبة

(1) ينظر: .wilson, John :politically speaking .basil black well.oxford.uk.1990.p.105 نقلا عن:علي محمود حجي الصراف:في البراجماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي ،ص150.

(2) ينظر:عيد بلبع:التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي و البلاغة ،بلنسية ، مصر، ط 1 ، 1430هـ/2009م ،ص390.

(3) ينظر: البحراني:أصول البلاغة،ص66.

(4) ديوان امرئ القيس :حققه و بوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته:حنا الفاخوري،دار الجيل،بيروت،(د.ط)، (د.ت)، ص42.وأحمد الزوزني :شرح المعلقات السبع،دار الجيل، بيروت – لبنان ،(د.ط)، (د.ت)، ص35.

للشخص المهموم يرى الليل قد أفرط من طوله، على خلاف الشخص الذي تعتريه الفرحة يرى ليله قصيرا وكأنه ساعة،حيث يتم الانتقال في الاستعارة من اللازم إلى الحقيقة .

والمخطط الآتي يوضح ما سبق :

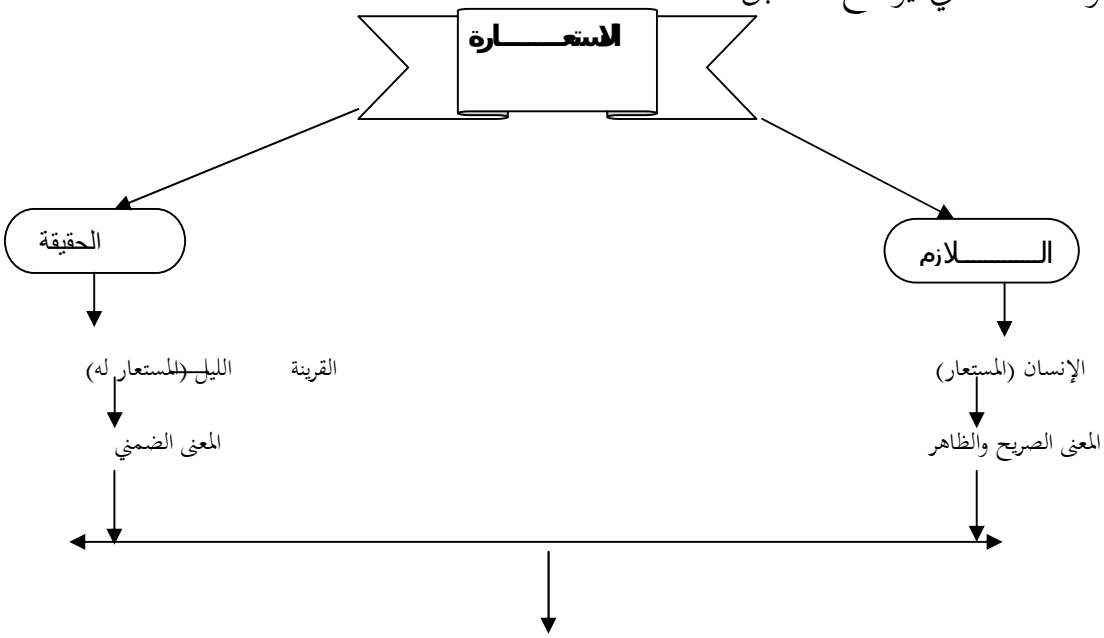

-مراعاة جانب المستعار له[1] قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل /111-112). خرجت دلالة جملة "أذاقها الله لباس الخوف و الجوع" من دلالتها الأصلية التي وضعت لها ،حيث حذف المستعار وهو (أهل مكة) لكنه ترك شيئا دالا عليه وهو المثل ،واهتم بالمستعار له (القرية)، فالإنسان يخاف و يجوع ما يستلزم أن القرية إذا لم تكن آمنة فلا يمكن أن يدخلها أحد.فالجوع لا يلبس ليس ثوبا وإنما أذاقها الله تعالى الجوع بعد أن كان يجبى إليها ثمرات بحيث يأتيها الرزق رغدا من كل مكان، إلى دلالة مستلزمة تبرز من المقام ،و بعصيانهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) و تفضيل غيره عليه دعي عليهـــــم بسبع مثلما حدث لسيدنا يوسف (عليه السلام) ، فمروا بسنة ذهب فيـــــها كل ما يملكونه الأمر الذي اضطرهم إلى تنـــــاول العلهز* .أما الخـــــوف فقـــــد انتقلت حالتهم فيما بعد من الأمـــــــن

(1)ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص67.
*العلهز : عبارة عن وبر مختلط بالدم ، محمد الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ، ص359 .

و الاستقرار الذي كان يخيم على مكة إلى الخوف من الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة رضوان الله عليهم، بعد هجرتهم للمدينة و كل ما أوتي من قوة أمده الله بها،حتى فتحها الله تعالى على رسوله الكريم ،وهذا راجع لصنيعهم الذي فعلوه به،و البغي به،وتكذيبهم للرسول (صلى الله عليه وسلم).[1]

فلو أمعنا النظر لوجدنا في هذا المثال ثلاث استعارات متلائمة فيما بينها وهي على الشكل الآتي :[2]

أ-استعارة القرية لأهلها / ب-استعارة الذوق للباس/ ج-استعارة اللباس لكل من الجوع والخوف.

ذكر البحراني في كتابه "أصول البلاغة " للاستعارة بالكناية والتي يراد بها ذكر بعض لوازم المستعار وهذا بغية التنبيه دون التصريح وهذا من قبيل قول الشاعر: (البحر الكامل)

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

بين البحراني كيفية استعارة الأسد للفظة المنية ، فقد اعتمد طريقة التلميح دون التصريح من جهة المستعار وهذا لبلوغ المراد.بمجرد القول أن (المنية أنشبت أظفارها) ندرك سلفا أن المنية لا تتوفر لها أظافر ،مما يستلزم الخروج الدلالي عن المعنى الحرفي الذي لا نتوصل منه إلا لظاهر القول، مع الاعتماد على القدرات العقلية التي تستوجب معنى آخر يشترك فيه طرفي الاستعارة فافتراس المنية لأرواح الناس وإنهائها في الدنيا و شبيهة إلى حد بافتراس الأسد لضحيته من خلال استعمال الأظافر،والمنية في هذا الموضع تشبه الأسد عندما يفتك على الناس ويأكلهم بأظافره [3]

كما بين البحراني أن الاستعارة قد تكون عامية كأن نقول : رأيت أسدا.كما تكون أيضا خاصية مثل قولالشاعر:[4] (البحر الكامل)

وسالت بأعناق المطي الأباطح*.

(1) ينظر :ابن كثير:مختصر تفسير ابن كثير،ص 349-350.
(2) ينظر :ابن الأثير: المثل السائر،قدمه وحققه وعلق عليه : أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر،الفجالة- القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت)،95/2.
(3) ينظر :عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،ص.و باديس لهو يمل :مظاهر التداولية في مفتاح العلوم،ص
(4) ينظر : البحراني:أصول البلاغة،ص68.
*الأباطح :وهي عبارة عن مسيل واسع تكثر فيه الحصى و الرمال .ينظر:البحراني:أصول البلاغة،ص68.

شبه الشاعر سير الإبل الحثيث الذي يمتاز بالسرعة الفائقة التي تطغى عليها السلاسة و اللين الأمر الذي أدى إلى انتقال الاستعارة هو إسناد الفعل "سالت" إلى "الأباطح" دون المطي أو الأعناق، والفائدة تكمن في أن الأباطح امتلأت بالإبل،حيث استعمل الأعناق من اجل السير،كونها تستلزم حركة الإبل سواء من جهة السرعة أو البطئ.

3-3-أقسام الاستعارة عند البحراني:

قسمت الاستعارة لدى البحراني إلى أربعة وهي على النحو الآتي:[1]

1-استعارة لفظ المحسوس للمحسوس مثل قول الشاعر : (البحر الطويل)

فلم أر بدرا طالعا قبل وجهها ولم تر قبلي ميتا يتكلم

شبه وجه المرأة بالبدر للاشتراك في الإشراق و الحسن و البهاء.

2-استعارة لفظ المعقول للمعقول كأن يتداخل الأمران في شيء واحد مع أولوية أحدهما على الآخر مثل: لفظة الموت بالنسبة لحياة الإنسان الجاهل ، و صفة العدم بالنسبة لمن لا فائدة من حياته للاشتراك في عدم الفائدة.

3-استعارة لفظ المحسوس للمعقول من قبيل كلام علي (كرم الله وجهه) في مدحه للقرآن :"فاءنه حبل الله المتين،و فيه ربيع القلب،و ينابيع العلم".حيث تمت استعارة عدة ألفاظ لمعنى القرآن مثل: الحبل والربيع والينابيع.

4-استعارة لفظ المعقول للمحسوس مع ضرورة عد الشيء المعقول بمثابة الأصل ،مع المبالغة في تشبيه الشيء المحسوس مثل قول الشاعر : (البحر الوافر)

فمنظرها شفاء من سقام ومخبرها حياة من حمام

يستنتج من هذا أن الموضع الذي نظر فيه إليها شارك فيه الشفاء من حيث اللذة،لكن الشفاء كان أولى من الموضع ،كما أنه بالغ في عملية التشبيه مما ألزمه استعارة اسمه.

(1) ينظر:البحراني :أصول البلاغة ،ص70-71-72

4-1-في مجـــال الكنايـــة:

لقي موضوع الكناية عناية فائقة من قبل العلماء و الدارسين،الذين بينوا كيفية انتقالها من المعنى الحرفي الظاهر من صيغة العبارة إلى معنى آخر مستلزم من المعنى الأول في المستوى العميق مع إرادة معناها، أما لدى البحراني فقد ذكرها في الفصاحة العائدة للمفردات و يقصد بها الكلمة التي أريد بها معنى غير المعنى الذي وضعت من أجله وهنا يستلزم معنى خفي يفهم من المقام الذي وردت فيه،مع ضرورة إدراج المعنى الظاهر و المصرح به،الذي نصل عن طريقه للمعنى الضمني. أما عند الجرجاني فهو يرى أنها :[1] الكلام الذي تم إخفاء المقصود منه عن طريق الاستعمال،ولو كان المعنى ظاهر في اللغة،كما أنها تعبير عن أمر ما عن طريق اللفظ أو معنى بلفظ غير واضح في الدلالة عليه وهذا لغرض معين مثل : فلان كثير رماد القدر.

نستنتج مما سبق أن موضوع الكناية يدل على معنى بطريقة غير مباشرة، مما جعلها أداة طيعة لانجاز فعل غير مباشر،فكل ما هو غير مصرح به يعد ميزة مشتركة بين الكناية و الفعل غير المباشر فمثلا نقول: (علي كثير الرماد) هنا نكون قد استعملنا الكناية لمدح علي ووصفه بالكرم و الضيافة ،فالمعنى الحرفي في هذا الموضع غير مطلوب،بل الغرض من كل هذا المعنى الخفي، والذي يكمن في مدح كرم علي.

الاستدلالات المترتبة عن كثرة رماد القدر

الـــــــــــلازم
كثرة الرماد
كثرة الجمر
كثرة إشعال الحطب
كثرة الطبخ
كثرة الأكلة
كثرة الضيافة
كثرة المضيافية
الكرم

(1) ينظر:علي بن محمد الجرجاني :التعريفات،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،(د.ط)،1938م،ص164.نقلا عن :علي محمود حجي الصراف:في البراجماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي،ص152. .

تمت عملية الاستلزام في هذا المثال بناء على الخلفية المعرفية للمخاطب ،والانتقال من دلالة لأخرى جعل المخاطب يصل إلى أن كثرة الرماد دليل واضح على كرم وجود صاحب البيت.

قسم البحراني الكناية إلى قسمين :[1] كناية مفرد وخصها بالصفة و الموصوف، في حين نجد كناية المركب تشمل النسبة. لم يقدم البحراني أمثلة عن الصفة و الموصوف، إلا أننا سنقدم أمثلة عنها للتوضيح:

1-كناية عن صفة: وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ ﴾ **الرحمن** /56،وهذه الكناية دالة على العفة و الطهارة.

2-كناية موصوف: تتضح في قوله تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ ﴾**الزخرف**/18.وهنا تدل على المرأة.

ففي الكناية الخاصة بالمركب يحاول البحراني إثبات معنى من المعاني مع ضرورة التصريح باءثباته، وذلك عند إثباته لمتعلقه من قبيل قول الشاعر:[2] (البحر الكامل)

إن المروءة والسماحة و الندى ضربت في قبة على ابن الحشرج

يبين البحراني أن كل الصفات المذكورة يراد إثباتها للممدوح إلا أنه لم يقم بالتصريح، بل خرج إلى الكناية وجعل هذه الصفات في شكل قبة مضروبة عليه،ولكن لو ترك هذه الواسطة لكان الحديث ساذجا.كما أن هذا النوع من الكنايات ليس الغرض منه إثبات صفة للممدوح، بل إثبات نسبة بينه وبين الصفات المذكورة،وتعد عنده نسبة معية.

(1) ينظر:البحراني :أصول البلاغة،ص73 .
(2) ينظر: المرجع نفسه ،ص73-74.

4-2-الفـــــرق بين الكنايـــة و المجـــــاز :[1]

يرى البحراني أن المعنى الأصلي للكناية مراد، إلا أنه غير مقصود بل يسعى إلى معنى آخر وهذا من جهة الالتزام مثل : كونه جواد وهذا لكونه كثير رماد القدر،على عكس المجاز.فالمعنى الأصلي منه غير مراد.

- ✓ تطرق البحراني لعلم المعاني من خلال معالجته للأساليب الخبرية التي قصرها على الإثبات و النفي وهي نفس الفكرة التي درسها الجرجاني في فصل الخبر المثبت و تقديم المحدث عنه في الخبر المنفي.
- ✓ أما الأساليب الإنشائية الطلبية تمثلت في الاستفهام الذي خرج عن معناه إلى دلالتي الإنكار و التقرير،وعلى النّداء الذي خرج بدوره أيضا للتعجب و الذم و التحسر.
- ✓ حيث درس البيان بأصوله الأربعة من مجاز تشبيه واستعارة وكناية.فالأول اشترط فيه النقل وغيابه لا يعد من باب المجاز بل حقيقة،أما الثاني لم يقم بتعريفه،بل درج أركانه المشبه و المشبه به، كما ذكر الغرض من التشبيه الذي يتجسد في إلحاق الناقص بالزائد بغية المبالغة في إثبات الحكم،كما فرق بين التشبيه و التمثيل على عكس ابن سنان الخفاجي.
- ✓ درس البحراني الاستعارة من باب المجاز المرسل،كما أنه لم يشر للنقل فيها كما فعل سابقا مع المجاز،وجعل من شروطها المبالغة في التشبيه مع الإيجاز،فالرؤية التداولية للاستعارة تكمن في عدم الانفصال عن ربط تأويل الاستعارة بالقواعد الفرعية لمبدأ التعاون،إذ لا تتعدى أن تكون استغلال لمبدأ أو أكثر لنظرية الاستلزام الحواري وهذا لا يتجسد إلا من جانبين:

-تحديد السياق التواصلي للاستعارة مما يستلزم إقصاء التفسير الحرفي وغيره مع مراعاة الجانب الاستعاري.

(1) ينظر: البحراني : أصول البلاغة ،ص73-74.

-انتقاء تفسير مناسب يضع المتلقي في العملية التواصلية يختار تفسير ملائم للمبادئ.

- ✓ يكمن الهدف من الاستعارة في مراعاة جانب المستعار و المستعار له، كما أننا نلمح أن البحراني درس الاستعارة بالكناية وهذا بذكر بعض لوازم المستعار بهدف التنبيه فقط دون أن يصرح بذلك، كما عمد إلى تقسيم الاستعارة إلى عامية و خاصية.

- ✓ تشتمل الاستعارة عند البحراني على أربعة أقسام وهي على التوالي:استعارة لفظ المحسوس للمحسوس، واستعارة لفظ المعقول للمعقول ،واستعارة لفظ المحسوس للمعقول ،واستعارة لفظ المعقول للمحسوس.
- ✓ أما فيما يمس جانب الكناية فقد درسها في الفصاحة العائدة للمفردات وهي لديه الكلمة الموضوعة لمعنى غير المعنى الأصلي لها ،مع ضرورة إدراج المعنى الظاهر لها بغية الوصول للمعنى الضمني.
- ✓ قسم البحراني الكناية لشقين مهمين هما :كناية دالة على المفرد وتنطوي عنها كناية صفة والموصوف،وكناية دالة على مركب وتشمل كناية النسبة والتي يعمل البحراني فيها على إثبات معنى مع ضرورة التصريح بإثباته، وذلك عند إثباته لمتعلقه.

الفهـــــــــــارس

1- فهرس الآيـــــات القرآنيـــــة

2- فهرس المصادر و المـــــراجع

3- فهرس المـــوضوعـــــــــات

فهرس الآيات القرآنيـــــــــة

الآيـــــــــــة	الســـــورة	الرقـــم	الصفحة
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾	النحل	112-111	46
أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾	الإسراء	40	31
وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾	الكهف	34	7
قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾	الكهف	37	7
قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾	الكهف	67-66	33
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾	الكهف	68-67	33
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ	الكهف	71-70	33

أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾			
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾	**الكهف**	**72-71**	**33**
قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾	**المجادلة**	**1**	**7**
وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾	**الزلزلة**	**2**	**37**

فهـــرس المصـــادر و المراجـــع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ–اللغة العربية:

1–أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة الوظيفي،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط:1، 1406هـ/1986م.

2–اللسانيات الوظيفية مدخل نظري،دار الكتاب الجديد المتحدة،أيلول /سبتمبر،ليبيا،ط1،2010م .

3– إدريس أوهنا: أسلوب الحوار في القرآن الكريم الموضوعات و المناهج و الخصائص،منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية ،ط:1،1426هـ/2005م.

4–امرئ القيس: ديوانه:حققه و بوبه و شرحه و ضبط بالشكل أبياته: حنا الفاخوري، دار الجيل،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

5– آمنة بلعلى: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن و طبيقاته،محاضرات الملتقى الثالث السيمياء و النص الأدبي،منشورات الجامعة،جامعة محمد خيضر بسكرة،كلية الآداب و العلوم الإنسانية،قسم الأدب العربي،20/19 أفريل،2004م.

6– آن ربول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ترجمة:سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،المنظمة العربية للترجمة،بيروت–لبنان،تموز–يوليو،2003م.

7–باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي،عالم الكتب الحديث،اربد–الأردن،ط:1، 2014م.

8–بنعيسى أزابيط: الخطاب اللساني العربي –هندسة التواصل الاضماري – من التجريد إلى التوليد: مستويات البنية الاضمارية وإشكالاتها الأساسية،عالم الكتب الحديث،اربد–الأردن، ط1،2012م.

9-مداخلات لسانية مناهج ونماذج،سلسلة دراسات وأبحاث رقم 26،شركة الطباعة مكناس،المغرب،(د.ط)،2008م.

10- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب: الايضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،(د.ط)،(د.ت).

11-التلخيص في علوم البلاغة،ضبطه و شرحه:عبد الرحمن البرقاوي،دار الفكر العربي،ط:1، 1904م.

12- جلال الدين بن مكرم ابن منظور: لسان العرب،دار صادر،المجلد12،بيروت-لبنان،1417ه/1997م.

13-حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب و محددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف،دار الآفاق العربية،القاهرة،ط:1، 1428ه/2007م.

14-حسان الباهي:الحوار و منهجية التفكير النقدي ،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب،ط:2004،1م.

15-أبو الحسين أحمد ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها،حققه و قدم له:مصطفى الشويمي،المكتبة اللغوية العربية،(د.ط)،بيروت-لبنان،1382ه/1963م.

16-راضي الشريف: نهج البلاغة،شرح:الإمام محمد عبده،دار الفكر العربي،بيروت-لبنان،ط:4، 2005م.

17-رشيد راضي: الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية و القواعد التخاطبية عند بول جرايس،مجلة الفيصل،العدد28،شوال1420ه/يناير(فبراير) 2000م.

18-عبد العاطي غريب علام: دراسات في البلاغة العربية،منشورات جامعة بنغازي،ط:1، 1997م.

19-علي الجارم و مصطفى أمين:البلاغة الواضحة المعاني والبيان و البديع،دار المعارف،القاهرة،(د.ط)،1999م.

20-علي بن محمد الجرجاني: الإشارات و التنبيهات،تحقيق: عبد القادر حسين،مكتبة الآداب،القاهرة،ط:1، 1904م.

21-التعريفات،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

22-علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي،مكتبة الآداب،القاهرة،ط:1، 1431هـ/2010م.

23-عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير: مختصر فسير ابن كثير،اختصار و تحقيق:محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم،بيروت،ط:1402،7هـ/1981.

24 العياشي أدراوي:الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى القوانين الظابطة لها،منشورات الاختلاف، الرباط،ط1432،1هـ/2011م.

25-عيد بلبع:التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي البلاغة،بلنسية-مصر،ط:1430،1هـ/2009م.

26- صلاح اسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس،الدار المصرية السعودية،ط2005،1م.

26-ضياء الدين ابن الأثير:المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر،قدمه وحققه وعلق عليه:أحمد الحوفي وبدوي طبانة،دار نهضة مصر ،الفجالة، القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

27 طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-المغرب،ط2،(د.ت).

28-اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1997،1م.

29-عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،قرأه و علق عليه:محمود محمد شاكر،دار المدني بجدة،(د.ط)،(د.ت).

30-دلائل الإعجاز،قرأه و علق عليه:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط:2004،5م.

31-قويدر شنان: التداولية ضمن الفكر الأنجلو سكسوني المنشأ و المآل اللساني،مجلة اللغة والآداب،كلية الآداب و اللغات،الجزائر،العدد17،جانفي2006م.

32-عبد المنعم السيد الشحات رزق: المسائل البلاغية بين ميثم البحراني و بن سنان الخفاجي،رسالة ماجستير مخطوطة ،جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية بالمنصورة، الدراسات العليا،1421هـ/2000م.

33-كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني:أصول البلاغة،تحقيق:عبد القادر حسين،دارالشروق،القاهرة،(د.ط)،1401هـ/1981م.

34-مجموعة من الأساتذة:الأسلوب الصحيح في البلاغة و العروض،منشورات مكتبة الحياة،بيروت،(د.ط)،1964م.

35-مسعود صحراوي:التداولية ضمن الفكر الأنجلو سكسوني المنشأ و المآل اللساني،مجلة اللغة و الآداب و اللغات،الجزائر،العدد17،جانفي2006م.

36-نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي ،عالم الكتب الحديث،ط:1،اربد-الأردن،2012م.

37-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت-لبنان،ط1،آذار/مارس،2004م.

38- أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق:عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط:1، 2000م.

ب-باللغة الأجنبية:

39-Wilson ,John :

politically speaking .Basil black well.oxford.uk.

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ-ب-ج
الفصل الأول:الاستلزام الحواري في الفكر اللساني الحديث	4
توطئة	5
المبحث الأول:تعريفه	6
أ- لغة	6
ب- اصطلاحا	8
المبحث الثاني:مبدأ التعاون و قواعده التخاطبية	11
مبدأ التعاون	11
- قاعدة الكم	12
- قاعدة الكيف	12
- قاعدة الجهة	12
قاعدة الملاءمة	12
المبحث الثالث:مبدأ التعاون في ميزان النقد	16
الانتقادات الموجهة لمبدأ التعاون	16
المبادئ المكملة و المتفرعة عن مبدأ التعاون	16
1- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب	16
القواعد المتفرعة عن مبدأ التأدب	17
- قاعدة التعفف	17
- قاعدة التشكك	17
- قاعدة التودد	17
نقد مبدأ التأدب	17
2- مبدأ التواجه واعتبار العمل	17
القواعد المتفرعة عن مبدأ التواجه	18
نقد مبدأ التواجه	18
3- مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب	18
القواعد المتفرعة عن مبدأ التأدب الأقصى	19
- قاعدة اللباقة	19
- قاعدة السخاء	19
- قاعدة الاستحسان	19
- قاعدة التواضع	19
- قاعدة الاتفاق و التعاطف	19
نقد مبدأ التأدب الأقصى	20
4- مبدأ التصديق واعتبار الصدق و الإخلاص	20
1ا- قواعد التواصل	21
2- قواعد التعامل	21

أ- قاعدة القصد	22
ب- قاعدة الصدق	22
ج- قاعدة الإخلاص	22
الفصل الثاني: الدلالات المستلزمة	26
توطئة	27
المبحث الأول:علم المعاني	28
أ- الأساليب الخبرية بين الإثبات و النفي	28
- الإثبات	29
- النفي	29
ت- الأساليب الإنشائية الطلبية	30
1- الاستفهام	30
2- النّداء	32
المبحث الثاني:علم البيان	33
1- في مجال المجاز	35
2- في مجال التشبيه	39
3- في مجال الاستعارة	43
4- في مجال الكناية	48
الخاتمة	52
قائمة المصادر و المراجع	59
فهرس الموضوعات	63

الفهـــــــــــارس

الخـــــــاتمــة

حاصل النظر فيما تقدم يمكن تلخيصه في الآتي :

- ✓ يمكننا القول إن العملية التواصلية لا تنطلق من فراغ بل تتأسس على مرجعيات تعود إلى طبيعة المتحاورين أنفسهم بالإضافة إلى مجموعة من المبادئ و المعارف التي تتداخل فيما بينها.
- ✓ عمل جرايس على جعل الحوار يقوم على قواعد من شأنها ضبط العملية التحاورية و أي خرق لأي قاعدة من القواعد الفرعية التي تندرج عن مبدأ التعاون ا سوف يؤدي بالضرورة إلى الانتقال من المعنى الحرفي و الظاهر للجملة إلى معنى آخر مستلزم ضمني
- ✓ سعى جرايس إلى جعل نظريته نظرية مكتملة والمعروفة بالاستلزام الحواري إلا أن هذه النظرية لم تسلم من النقد مما ألزم وجود بدائل ومكملات لها من شأنها سد النقص ، ومن بين الذين ساهموا في هذا نجد(لاكوف) التي أولت جل اهتمامها للجانب التهذيبي الذي أغفله جرايس ، إلا أن هذا المبدأ لم يسلم أيضا من النقد فقد تدخل (بنلوب براون) و((ستيفن ليفنصون) اللذان تداركا الخطأ الذي وقعت فيه (لاكوف)في مبدئها المعروف بالتأدب فأتيا بالبديل للتأدب وهو مبدأ التواجه الذي ركزوا فيه على التهديد الذي يعد الأصل في القول .
- ✓ ما دفع بآخر وهو العالم (جوفري ليتش) الذي وضع مبدءا يقوم على الصدق و الإخلاص وهو مكمل لمبدأ التعاون ، إلا أن التقرب فيه جعله يميل للتظاهر الذي يسئ للغير ، من هذا المنطلق جاء الباحث طه عبد الرحمن وقدم لنا رؤية شاملة و مضبوطة لكل ما سبق فهو قام بالتأصيل و التمثل حيث قدم مبدءا اسماه بمبدأ التصديق والذي يتضمن ثلاثة قواعد ألا وهي: الصدق و الإخلاص و القصد التي تمس الجانب التعاملي في العملية التحاورية ، أما الجانب التواصلي فقد قصره على النفع و الضرر وإصابة الفرصة والحاجة و الأسلوب

- ✓ تطرق البحراني لعلم المعاني من خلال طرحه للأساليب الخبرية فقصرها على الإثبات و النفي وهي نفس الفكرة التي درسها الجرجاني في فصل الخبر المثبت و تقديم المحدث عنه في الخبر المنفي.

- ✓ أما الإنشائية الطلبية المتمثلة في الاستفهام الذي خرج عن معناه إلى دلالتي الإنكار و التقرير،وغير الطلبية المشتملة على التعجب الذي خرج بدوره أيضا للنداء و الذم وعلى النّداء الذي خرج بدوره أيضا للتعجب والذم و التحسر..

- ✓ حيث درس البيان بأصوله الأربعة من مجاز تشبيه واستعارة وكناية.فالأول اشترط فيه النقل وغيابه لا يعد من باب المجاز بل حقيقة،أما الثاني لم يقم بتعريفه،بل درج أركانه المشبه و المشبه به، كما ذكر الغرض من التشبيه الذي يتجسد في إلحاق الناقص بالزائد بغية المبالغة في إثبات الحكم، كما فرق بين التشبيه و التمثيل على عكس ابن سنان الخفاجي.
- ✓ درس البحراني الاستعارة من باب المجاز المرسل، كما أنه لم يشر للنقل فيها كما فعل سابقا مع المجاز،وجعل من شروطها المبالغة في التشبيه مع الإيجاز،فالرؤية التداولية للاستعارة تكمن في عدم الانفصال عن ربط تأويل الاستعارة بالقواعد الفرعية لمبدأ التعاون،إذ لا تتعدى أن تكون استغلال لمبدأ أو أكثر لنظرية الاستلزام الحواري وهذا لا يتجسد إلا من جانبين:

-تحديد السياق التواصلي للاستعارة مما يستلزم إقصاء التفسير الحرفي وغيره مع مراعاة الجانب الاستعاري.

-انتقاء تفسير مناسب يضع المتلقي في العملية التواصلية يختار تفسير ملائم للمبادئ.

- ✓ يكمن الهدف من الاستعارة في مراعاة جانب المستعار و المستعار له، كما أننا نلمح أن البحراني درس الاستعارة بالكناية وهذا بذكر بعض لوازم المستعار بهدف التنبيه فقط دون أن يصرح بذلك، كما عمد إلى تقسيم الاستعارة إلى عامية و خاصية.

- ✓ تشتمل الاستعارة عند البحراني على أربعة أقسام وهي على التوالي:استعارة لفظ المحسوس للمحسوس، واستعارة لفظ المعقول للمعقول ،واستعارة لفظ المحسوس للمعقول ،واستعارة لفظ المعقول للمحسوس.
- ✓ أما فيما يمس جانب الكناية فقد درسها في الفصاحة العائدة للمفردات وهي لديه الكلمة الموضوعة لمعنى غير المعنى الأصلي لها ،مع ضرورة إدراج المعنى الظاهر لها بغية الوصول للمعنى الضمني.

- ✓ قسم البحراني الكناية لشقين مهمين هما :كناية دالة على المفرد وتنطوي عنها كناية صفة والموصوف،وكناية دالة على مركب وتشمل كناية النسبة والتي يعمل البحراني فيها على إثبات معنى مع ضرورة التصريح بإثباته، وذلك عند إثباته لمتعلقه.
- ✓ إن مصنفات القدامى عامة ومصنف ميثم البحراني خاصة تنم عن عناية فائقة بالبعد الاستعمالي للغة ، ولا غرو في ذلك فلطالما ردد البلاغيون القدامى عبارة لكل مقام مقال ، هذه العبارة التي تعد قطب الرحى في الدراسات التداولية الحديثة .

الملخص

يعد الإستلزام الحواري من أهم المحاور التي تعنى بها الدراسات التداولية،فكتاب أصول البلاغة لميثم البحراني ينم عن عناية فائقة بالبعد الإستعمالي للغة، فلطالما ردد البلاغيون مقولتهم الشهيرة " لكل مقام مقال " هاته الأخيرة التي تعد قطب الرحى في الدراسات التداولية الحديثة، كما بين البحراني كيفية انتقال معنى العبارة من الدلالة الحرفية إلي الدلالة المستلزمة من خلال المدونة .

Abstract

The Apostle Entailing of the most important themes dealt with by the deliberative Studies, Book of the assets of the rhetoric of Maitham Bahrani reflects the careful attention dimension utilisating language, has long echoed Albulagjun famous their opinion, "each serves" these circumstances the last article, which are pole, molar in the deliberative studies modern, as between Bahrani how meaning of the phrase transmission of significance to craft significance Almstlzimh through the code.